فصول من كتاب

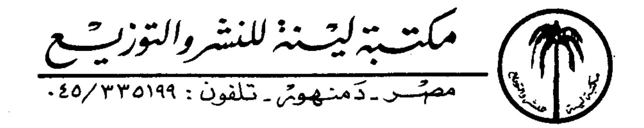
الانتصار لأصحاب الحديث

للإمام أبي المظفر منصور بن محمد السمعاني
المتوفى ٤٨٩ هـ

جمع فصولها وعلق عليها
محمد بن حسين بن حسن الجيزاني

مكتبة أضواء المنار
المدينة المنورة

الطبعة الأولى
١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م



تطلب منشوراتنا من
مكتبة أضواء المنار للنشر والتوزيع
السعودية - المدينة النبوية - مجمع أحد التجاري - شارع الضيافة
تلفون: ٨٤٧١٧٧١ - ٨٣٧٠١٨٥

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله مُعِزِّ أوليائه والمؤمنين، وناصر أنبيائه والمرسلين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد فهذه فصول مجموعة من كتاب **الانتصار لأصحاب الحديث للإمام أبي المظفر السمعاني**، المتوفى سنة ٤٨٩هـ .

وهو كتاب جمع بين كريم الثناء والمفاخرة، وصادق النصرة والمؤازرة، لأهل السنن والآثار، وحملة العلم والأخبار، الذين قبلوا الشريعة قولا وفعلا، وحرسوا السنة حفظا ونقلا ؛ حتى ثبَّتوا أصلها، وكانوا أحق بها وأهلها . فهم أمناء الله في خليقته، والمجتهدون في حفظ ملّته .

أنوارهم زاهرة، وفضائلهم سائرة، وآياتهم باهرة، ومذاهبهم ظاهرة، وحججهم قاهرة، وكل فئة تتحيَّز إلى هوى ترجع إليه، أو تستحسن رأيا تعكف عليه، سوى أصحاب الحديث، فإن الكتاب عدَّتهم، والسنة حجتهم، والرسول فئتهم، وإليه نسبتهم، لا يعرجون على الأهواء، ولا يلتفتون إلى الآراء، يُقبَل منهم ما رووا عن الرسول، وهم المأمونون عليه والعدول، حفظة الدين وخزنته، وأوعية العلم وحملته .

إذا اختُلف في حديث كان إليهم الرجوع، فما حكموا به فهو المقبول والمسموع، ومنهم كل عالم فقيه، وإمام رفيع نبيه، وزاهد في قبيلة، ومخصوص بفضيلة، وقارئ متقن، وخطيب محسن .

وهم الجمهور العظيم، وسبيلهم السبيل المستقيم، وكل مبتدع باعتقادهم يتظاهر، وعلى الإفصاح بغير مذهبهم لا يتجاسر، من كادهم قصمه الله، ومن

عاندهم خذله الله، لا يضرهم من خذلهم، ولا يفلح من اعتزلهم، والمحتاط لدينه إليهم فقير، وبَصَرُ الناظر بالسوء إليهم حسير، وإن الله على نصرهم لقدير(١) .

المصادر المعتمدة في إثبات مادة كتاب الانتصار:

ولما كان كتاب الانتصار هذا ـ حسبما أعلم ـ ليس له وجود في المطبوع ولا في المخطوط فقد اعتمدت في إثبات مادته على ثلاثة مصادر:

١ـ الحجة في بيان المحجة للتيمي الأصبهاني وهو تلميذ المؤلف .

٢ـ مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم .

٣ـ صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام للسيوطي .

وأكثر هذه المصادر استيعابا لمادة كتاب الانتصار إنما هو كتاب السيوطي: **صون المنطق والكلام**، الذي تفرد بسوْق مادة كتاب الانتصار بصورة متتابعة وفي مقام واحد إلا أن السيوطي حذف جملة من الآيات والأحاديث والآثار في غير موضع اعتمادا على ورودها في تلخيصه لكتاب ذم الكلام للإمام الهروي(٢)، وربما حذف بعض الفصول من كتاب الانتصار لخروجها عن غرضه من التلخيص .

ويأتي في المرتبة الثانية **كتاب الحجة في بيان المحجة** لقوام السنة التيمي، فإنه أورد في مواضع متفرقة فصولا عديدة من مادة كتاب الانتصار، وجميع هذه

---

(١) اقتباس من كتاب شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي: ٨-١٠ .

(٢) انظر ما سيأتي في ص ٢٥-٢٦ ومن المعلوم أن السيوطي لخَّص في كتابه صون المنطق والكلام جمعا من كتب أهل العلم فمن ذلك: ذم الكلام للهروي وكتاب الرعاية للحارث المحاسبي والغنية عن الكلام وأهله للخطابي والانتصار للسمعاني، لخَّص هذه الكتب وغيرها في سوْقه لنصوص الأئمة في تحريم الكلام .

الفصول مما أورده السيوطي في كتابه، إلا فصلا واحدا تفرد بحفظه لنا كتاب الحجة .

ثم يأتي في المرتبة الثالثة **كتاب مختصر الصواعق المرسلة** لابن القيم الذي يعتبر نسخة مكررة لبعض ما في المصدرين الأولين، كما أن مادة كتاب الانتصار فيه تعدُّ قليلة بالنسبة للمصدرين السابقين، مع كونها وردت في مواضع متفرقة منه .

خطة العمل ومنهج التحقيق:

وأما المنهج الذي سلكته في كتابة هذا النص وتحقيقه وتقريبه فهو على النحو الآتي:

١- جعلتُ هذا العمل في قسمين: تضمن أولهما وهو القسم الدراسي: التعريف بالمؤلف وكتابه، وتضمن القسم الآخر: النص المحقق .

٢- قمت بنسخ النص المعتمد من مصادره الموضحة في الجدول المرفق[١]، واتبعت في ذلك طريقة النص المختار، وتركت الإشارة إلى الفروق التي قد توجد بين المصادر، نظراً لكون هذه المصادر مطبوعة متداولة، ولما يوجد بينها من تفاوت من حيث كمال النص وضبطه، ومن حيث السلامة من الأخطاء الطباعية[٢] .

٣- قسَّمت النص المحقق إلى عشر فقرات، وجعلت لهذه الفقرات أرقاما متتابعة:(من١ إلى ١٠)، ووضعت لكل منها عنوانا يناسب موضوعها، وجعلت ذلك بين علامتين هكذا: [ ] اللهم إلا إن كان هذا العنوان من كلام المؤلف

---

(١) انظر ص ٣٠ .

(٢) لم تسلم جميع هذه المصادر من كثرة الأخطاء الطباعية، وأقلها وقوعا في هذه الأخطاء: كتاب السيوطي ثم كتاب الحجة ثم كتاب مختصر الصواعق .

فأكتفي بجعل رقم الفقرة فقط بين العلامتين دون العنوان محافظة على تبويب المؤلف وتقسيمه .

٤- وضعت جميع الزيادات التي يستدعيها السياق ولم ترد في الأصل بين علامتين هكذا: [ ] .

٥- بيَّنت في الآيات القرآنية الكريمة اسم السورة ورقم الآية، وجعلت ذلك في المتن ـ مما يلي الآية ـ بين علامتين هكذا: [ ] .

٦- خرَّجت الأحاديث النبوية الشريفة من مظانها: فما كان منها في الصحيحين أو في واحد منهما أشرت إلى موضعه فيهما، وكان ذلك حكما على الحديث بالصحة . وما لم يكن كذلك وكان في السنن الأربعة (أبو داود والنسائي والترمذي وابن ماجه) ذكرت من خرَّجه من أصحابها . ومالم يكن في واحد من هذه الكتب الستة اكتفيت بتخريجه مما تيسر لي من كتب السنة الأخرى، وفي الغالب أُتبع الحديث الذي في غير الصحيحين بكلام يدل على حكمه من جهة الصحة والضعف .

٧- اجتهدت في تخريج الآثار المروية عن الصحابة والتابعين من مظانها، ووثقت أقوال العلماء والأبيات الشعرية من مصادرها المعتبرة قدر الإمكان . ومتى تعذّر عليَّ تخريج شيء من ذلك أهملتُ ذكر تخريجه دون أي تنبيه .

٨- ترجمت باختصار لجميع الأعلام عدا من استفاضت شهرتهم ككبار الصحابة ﷺ وأئمة الفقه الأربعة، وشرحت بإيجاز المصطلحات والألفاظ الغريبة .

٩- علّقت على بعض المواضع التي تحتاج ـ في نظري ـ إلى بيان أو تنبيه، وربما أذكر في بعض المسائل ـ لمن أراد الاستزادة ـ بعض المراجع النافعة .

١٠- ذيلت هذا الكتاب بالفهارس الآتية:

١) فهرس الآيات القرآنية الكريمة .

٢) فهرس الأحاديث النبوية الشريفة .

٣) فهرس الآثار .

٤) فهرس الأبيات الشعرية .

٥) فهرس الأعلام .

٦) ثبت المصادر والمراجع .

٧) فهرس الموضوعات .

وفي الختام أحمد الله وأشكره على ما منَّ به ووفَّق إليه، وأسأله جل شأنه أن يغفر الخطأ والزلل، وأن يتقبل هذا العمل .

ثم أوجه شكري وتقديري إلى كل من صنع إليَّ معروفا، أو أهدى إليَّ عيباً .

"معترفا بالعجز والقصور وأسأل العون من القدير
وراجيا ممن رقى أوج السُّها أن يُسبل العفو على مَن قد سَها
ومن إلهي أطلب الإنابة كذلك التوفيق والإجابة"[١]

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين .

* * *

---

(١) هذه الأبيات مقتبسة من منظومة طاش كبرى زاده في طرق الآداب والمناظرة .

القسم الثاني

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : التعريف بالمؤلف .

المطلب الثاني : التعريف بالكتاب .

المطلب الأول: التعريف بالمؤلف[١]

١ـ اسمه ونسبه:

هو الإمام أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد التميمي، السمعاني[٢]، المروزي، الحنفي ثم الشافعي .

٢ـ حياته ورحلاته:

١.ولد أبو المظفر في خراسان سنة (٤٢٦هـ) .

٢.نشأ في بيت علم وزهد[٣]، وقد كان والده القاضي أبو منصور السمعاني من أئمة الحنفية، فولد له ولدان أحدهما أبو المظفر هذا، والثاني أبو القاسم علي، وتفقّها عليه، وبرعا في مذهب أبي حنيفة .

---

(١) من أهم مصادر ترجمة المؤلف: الأنساب لحفيده أبي سعد عبد الكريم السمعاني، وسير أعلام النبلاء للذهبي، وطبقات الشافعية الكبرى لابن السبكي .

وقد كُتبت دراسات مفصلة عن المؤلف، فمما وقفت عليه في ذلك: مقدمة الدكتور عبد الله الحكمي لكتاب **قواطع الأدلة** للسمعاني، وهي القسم الدراسي من رسالته التي نال بها درجة الدكتوراه في أصول الفقه من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض سنة ١٤٠٨هـ، وما كتبه الباحث محمد بن بو بكر بنعلي في رسالته التي حصل بها على درجة الماجستير في العقيدة من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة سنة ١٤١٣هـ، وكانت بعنوان: **جهود أبي المظفر السمعاني في تقرير عقيدة السلف**، وما كتبه الدكتور عبد القادر منصور منصور في المقدمة الدراسية من رسالته التي حصل بها على درجة الدكتوراه من قسم التفسير بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ثم طُبعت هذه الرسالة سنة ١٤١٦هـ بعنوان: كتاب **تفسير سورتي الفاتحة والبقرة** للسمعاني .

(٢) السَّمْعاني: نسبة إلى سمعان، وهو بطن من تميم. انظر الأنساب: ٢٢٢/٧ ووفيات الأعيان: ٢١١/٣.

(٣) أسرة أبي المظفر السمعاني عرفت بالعلم والفضل فمن أعيان البيت السمعاني:

١.والده: أبو منصور محمد بن عبد الجبار الفقيه الحنفي، ت ٤٥٠هـ .

==

٣.دخل أبو المظفر بغداد في سنة ٤٦١هـ وناظر بها الفقهاء، وجرت بينه وبين أبي نصر بن الصباغ مناظرة، أجاد فيها الكلام، واجتمع بالشيخ أبي إسحاق الشيرازي .

٤.خرج إلى الحجاز على غير الطريق المعتاد فأُسر هو ورفقته في أيدي عرب البادية فصبر إلى أن خلّصه الله تعالى، وحجَّ ودخل في صحبة أبي سعد الزنجاني، ولم يزل معه حتى صار ببركته من أصحاب الحديث .

٥.لما قضى أبو المظفر حجَّه وأتم نسكه عاد إلى خراسان، ودخل مرو في سنة ٤٦٨هـ فلما استقر بها قلّد الشافعي ورجع عن مذهب أبي حنيفة، رحمهما الله تعالى، وترك طريقته التي ناظر عليها أكثر من ثلاثين سنة .

٦.لما أظهر أبو المظفر انتقاله إلى مذهب الشافعي اضطرب أهل مرو، وتشوَّش العوامُّ، فخرج في أول ليلة من شهر رمضان سنة ٤٦٨هـ من مرو مع طائفة من أصحابه فصار إلى طوس ثم قصد نيسابور فاستقبله الشافعية استقبالا

==

٢.أخوه: أبو القاسم علي بن محمد بن عبد الجبار، تفقه على والده في المذهب الحنفي .

٣.ابن أخيه: أبو العلاء عالي بن علي بن محمد بن عبد الجبار .

٤.ابنه: أبو بكر محمد بن منصور، ت٥١٠هـ .

٥.حفيده: أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور، المحدث الحافظ، صاحب كتاب الأنساب، وكان أبو سعد واسطة عقد البيت السمعاني، ت ٥٦٢هـ .

٦.ابن حفيده: أبو المظفر عبد الرحيم بن عبد الكريم بن محمد بن منصور، سمع الحديث من أبيه، ت٦١٤هـ .

انظر الأنساب: ٢٢٢/٧-٢٣٠ ووفيات الأعيان: ٢٠٩/٣-٢١٢ وجهود أبي المظفر في العقيدة: ٨٠-٨٣ .

عظيما، وعُقد له مجلس التذكير في مدرسة الشافعية، فظهر له القبول، واستحكم أمره في مذهب الشافعي .

٧.ثم عاد إلى مرو، ودرَّس بها في مدرسة الشافعية، وظهر له الأصحاب، وعلا شأنه، وتوفي بها رحمه الله تعالى، وكان ذلك سنة ٤٨٩هـ .

٣- مذهبه وعقيدته:

كان أبو المظفر حنفيا ثم إنه انتقل إلى مذهب الشافعي، وكان هذا الانتقال بعد رجوعه من الحج، وأعلن ذلك بمرو سنة ٤٦٨هـ في دار ولي البلد وبحضور أئمة الفريقين .

وحصل بسبب ذلك خصومة بين المذهبين، واضطرب أهل مرو اضطرابا حتى وردت الكتب من جهة الأمير ببلخ في شأنه والتشديد عليه، فخرج أبو المظفر من مرو وهو مستقر على هذا الانتقال، وهجره لذلك أخوه أبو القاسم وكتب إليه: كيف خالفت مذهب الوالد وانتقلت عن مذهبه؟

فكتب كتابا إلى أخيه وقال: (ما تركت المذهب الذي كان عليه والدي رحمه الله في الأصول بل انتقلت عن مذهب القدرية؛ فإن أهل مرو صاروا في أصول اعتقادهم إلى رأي أهل القدر)[1] .

---

(١) نقل ابن السبكي في طبقاته ما حصل من الهجر بين أبي المظفر وأخيه أبي القاسم لكنه طوى جواب أبي المظفر هذا لأخيه أبي القاسم، ولم يذكره، وهو الجواب الذي صرَّح فيه أبو المظفر بسبب انتقاله، وهذا السبب مما يتعلق بالجانب العقدي .

ثم ذكر ابن السبكي أثر هذا الانتقال من الجانب الفقهي فقال:

(وصارت السمعانية شافعية بعد أن كانوا حنفية، فالحنفية من السمعانية: الإمام أبو منصور، وولده أبو القاسم علي، وولده أبو العلاء عالي، والشافعية: الإمام أبو المظفر، وأولاده، وأولاد أولاده، وكل سمعاني جاء بعده) طبقات ابن السبكي: ٣٤١/٥ .

وصنّف كتابا في الرد على القدرية وأهداه إليه، فرضي عنه، وقبل عذره، وطاب قلبه، ووجَّه إليه ابنه أبا العلاء عالي للتفقه عليه(١) .

إن انتقال أبي المظفر إلى مذهب الشافعي في الفروع لم يكن مسألة مقصورة على ترك مذهب إمام في الفقه وتقليد مذهب إمام آخر؛ بل ارتبط هذا الانتقال ارتباطا وثيقا بالمذهب العقدي، ذلك أن أبا المظفر بتركه مذهب الحنفية ترك مذهب القدرية وبانتقاله إلى مذهب الشافعية انتقل إلى مذهب أهل الحديث(٢) .

قال رحمه الله في كتاب الانتصار: (... فهذا كلام الشافعي في ذمِّ الكلام والحث على السنة، وهو الإمام الذي لا يُجارى، والفحل الذي لا يُقاوم ... ... فلا ينبغي لأحد أن ينصر مذهبه في الفروع ثم يرغب عن طريقته في الأصول)(٣) .

ومما يجلّي هذا ويقرره الإشارة إلى بعض أسباب هذا الانتقال:

---

(١) انظر الأنساب: ٢٢٣/٧ وسير أعلام النبلاء: ١١٦/١٩ وطبقات ابن السبكي: ٣٣٧/٥-٣٤١ .

(٢) الفرض أن يجري الشافعية ـ وهم أتباع الشافعي في الفروع ـ على مذهب إمامهم في الأصول، وهو مذهب أهل السنة والحديث، بل كان ذلك هو الغالب على متقدميهم، كالإمام اللالكائي (ت ٤١٨هـ) والخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ) والإمام البغوي (ت ٥١٦هـ) .

وإنما انتشرت الأشعرية وعمت في الشافعية منذ أوائل القرن السادس على وجه التقريب، وكان من أهم عوامل هذا الانتشار التزام كثير من أئمة الشافعية في تلك الفترة بما كان عليه الأشعري في الأصول، فمن هؤلاء: الإمام البيهقي صاحب السنن الكبرى (ت ٤٥٨هـ) وإمام الحرمين الجويني (ت ٤٧٨هـ) والغزالي (ت ٥٠٥هـ) .

انظر موقف ابن تيمية من الأشاعرة: ٤٩٧/٢-٥٠٤، ٥٨٠-٥٨٥ وجهود أبي المظفر السمعاني في تقرير العقيدة: ١٠٣-١٠٧ .

وانظر ـ إن شئت ـ استكمالا لذلك: التعليق الآتي في ص ٢٠ .

(٣) الانتصار: ٨، ٩ .

١ـ اجتهاده في طلب الحق والبحث عنه . وفي هذا السبيل ارتحل وتنقل في الأمصار والديار حتى فتح الله عليه وهداه، فترك طريقته التي ناظر عليها أكثر من ثلاثين سنة[١] .

٢ـ صدق التجائه إلى ربه، وسؤاله إياه أن يهديه إلى الحق . فمن ذلك أنه لم يزل ـ أثناء خروجه إلى الحج ـ يردد: اللهم بيِّن لي الحق من الباطل[٢] . وقد استجاب الله له دعاءه، وشرح صدره لاتباع الحق، فما أن أتمَّ نسكه وألقى عصا السفر وعاد إلى بلده حتى أعلن انتقاله إلى مذهب الشافعي .

٣ـ صحبته لأهل الحديث، فقد أكرمه الله بصحبة إمامين من أئمة السنة:

أحدهما: فقيه نيسابور، إمام الشافعية في وقته، الإمام أبو بكر محمد بن محمود بن سورة التميمي، فقد أوصى أبا المظفر بوصية غالية . قال له: (إن أردت أن يكون لك درجة الأئمة في الدنيا والآخرة فعليك بمذهب السلف الصالح، وإياك أن تداهن في ثلاث مسائل: مسألة القرآن، ومسألة النبوة، ومسألة استواء الرحمن على العرش باستدلال النص من القرآن والسنة المأثورة عن النبي ﷺ)[٣] .

والثاني: شيخ الحرم، الإمام الحافظ أبو القاسم سعد بن علي الزنجاني، فقد لازمه أبو المظفر وصحبه حتى صار محدِّثا .

يقول أبو المظفر: (كنت في الطواف، فوصلت إلى الملتزم، وإذا برجل قد أخذ بردائي، فإذا الإمام سعد، فتبسمت، فقال: أما ترى أين أنت؟ هذا مقام الأنبياء والأولياء، ثم رفع طرفه إلى السماء وقال: اللهم كما سقته إلى أعز مكان، فأعطه

---

(١) انظر طبقات ابن السبكي: ٣٣٧/٥ .

(٢) انظر سير أعلام النبلاء: ١١٨/١٩ وطبقات ابن السبكي: ٣٣٨/٥ .

(٣) اجتماع الجيوش الإسلامية: ١٨٥ .

أشرف عز في كل مكان وزمان، ثم ضحك إليَّ، وقال: لا تخالفني في سرك، وارفع يديك معي إلى ربك، ولا تقولنَّ ألبتة شيئا، واجمع لي همتك حتى أدعو لك، وأمِّن أنت، ولا يخالفني عهدك القديم، فبكيتُ، ورفعتُ معهُ يديَّ، وحرَّك شفتيه، وأمَّنتُ، ثم قال: مر في حفظ الله، فقد أجيب فيك صالح دعاء الأمة، فمضيت وما شيء أبغض إليَّ من مذهب المخالفين)[١] .

ويُذكِّرنا ما حصل لأبي المظفر بما حصل **للإمام الشافعي لما أراد الله له أن يكون إماما من أئمة هذه الأمة** فقد هيأ الله له من يرشده إلى الطريق القويم .

قال الشافعي: (خرجت أطلب النحو والأدب فلقيني مسلم بن خالد الزنجي فقال: يا فتى من أين أنت؟ قلت: من أهل مكة . قال: أين منزلك؟ قلت: شعب بالخيف . قال: من أي قبيلة أنت؟ قلت: من عبد مناف . قال: بخ بخ، لقد شرفك الله في الدنيا والآخرة، ألا جعلت فهمك في هذا الفقه فكان أحسن بك)[٢] .

ولما قدم الشافعي على مالك بن أنس وقرأ عليه الموطأ حفظا فأعجبته قراءته ولازمه قال له: (اتق الله واجتنب المعاصي فإنه سيكون لك شأن)[٣] .

وها هو ذا **ابن القيم أيضا يروي لنا تأثره بشيخه ابن تيمية** وتوبته على يديه .

قال في نونيته:[٤]

يا قوم والله العظيم نصيحة ... من مشفق وأخ لكم معوان

جربت هذا كله ووقعت في ... تلك الشباك وكنت ذا طيران

حتى أتاح لي الإله بفضله ... من ليس تجزيه يدي ولساني

---

(١) سير أعلام النبلاء: ١١٨/١٩ .

(٢) المجموع شرح المهذب: ٨/١ .

(٣) المصدر السابق .

(٤) القصيدة النونية مع شرح ابن عيسى: ٧٢/٢-٧٣ .

حبر أتى من أرض حـرّان فيـا — أهـلا بمن قد جاء من حـرّان
فا لله يجزيـه الذي هو أهلـه — مـن جنة المأوى مع الرضوان
أخذت يداه يدي وسار فلم يرم — حـتى أراني مطلـع الإيـمان

لقد أصبح أبو المظفر - بفضل الله وتوفيقه - إماما من أئمة أهل السـنة والجماعـة، حتى قال عنه الذهبي: (تعصب لأهل الحديث والسنة والجماعة، وكان شوكا في أعين المخالفين، وحجة لأهل السنة)[١] وخير شاهد ودليل على ذلك كتبه التي بين أيدينـا ؛ فقد قرَّر في تفسيره عقيدة السلف الصالح في غير موضع[٢]، ويغني عن الشواهد كلهـا كتاب الانتصار لأصحاب الحديث؛ إذ هو اسم وافق مسماه[٣] .

٤- شيوخه وتلاميذه:

لأبي المظفر شيوخ كثيرون . فمنهم:

١ . والده أبو منصور محمد بن عبد الجبار، وقد تقدم أنه تفقه عليه هو وأخوه أبو القاسم في مذهب أبي حنيفة، توفي سنة ٤٥٠هـ[٤] .

٢ . أبو القاسم سعد بن علي الزنجاني، وقد صحبه ولازمه حتى صار محدثـا، توفي رحمه الله سنة ٤٧١هـ[٥] .

٣ . أبو إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي، فقيه الشافعية، صاحب المهـذب، توفي رحمه الله سنة ٤٧٦هـ[٦] .

---

(١) سير أعلام النبلاء: ١١٦/١٩ .
(٢) انظر مقدمة الدكتور عبد القادر منصـور لكتـاب تفسـير سـورتي الفاتحـة والبقـرة للسمعاني: ١٩٢/١-٢٤٢ .
(٣) انظر الشواهد والأمثلة على تحرير السمعاني لمذهب السلف وعنايته بتقريره في كتاب الانتصار: ٤٤-٤٥، ٨١-٨٢ .
(٤) انظر ص ١١ .
(٥) انظر سير أعلام النبلاء: ٣٨٥/١٨ .
(٦) انظر المجموع للنووي: ١٤/١ وطبقات ابن السبكي: ٢١٥/٤ .

أما تلاميذه فمنهم:

١. ابنه أبو بكر محمد بن منصور، وكان والده يفتخر به ويقول على رؤوس الأشهاد في مجلس الإملاء: (ابني محمد أعلم مني وأفضل مني) وشرع في عدة مصنفات ما تمم شيئا منها؛ إذ مات وقد جاوز الأربعين بقليل، توفي رحمه الله سنة ٥١٠ هـ[١].

٢. أبو القاسم إسماعيل بن محمد التيمي الأصبهاني، الملقب بقوام السنة، صاحب كتاب الحجة في بيان المحجة، كان إماما لأهل السنة في وقته، توفي رحمه الله سنة ٥٣٥هـ[٢].

٥ـ مؤلفاته:

صنّف أبو المظفر تصانيف تدل على علمه وفضله[٣]. قال حفيده أبو سعد: (ومن طالع تصانيفه وأنصف عرف محله من العلم)[٤].

وهذه المصنفات يمكن تقسيمها إلى علوم خمسة. سأقتصر فيما يأتي على ذكر كتاب أو كتابين لكل علم من هذه العلوم.

١) **التفسير**، فقد ألف فيه كتابا نفيسا جامعا، وصفه حفيده بقوله: (صنّف التفسير الحسن المليح، الذي استحسنه كل من طالعه)[٥].

---

(١) انظر الأنساب: ٢٢٦/٧ ووفيات الأعيان: ٢١٠/٣.

(٢) انظر سير أعلام النبلاء: ٣٨٥/١٨.

(٣) مما يذكر في هذا المقام أن جميع مؤلفات أبي المظفر على مذهب الشافعي، ولم يوجد له شيء على مذهب أبي حنيفة. انظر طبقات ابن السبكي: ٣٤٤/٥.

(٤) الأنساب: ٢٢٣/٧، ٢٢٤.

(٥) الأنساب: ٢٢٤/٧. وقد حُقق هذا الكتاب في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، في رسائل علمية، ونُشر من هذه الرسائل ـ فيما أعلم ـ: كتاب تفسير سورتي الفاتحة والبقرة بتحقيق الدكتور عبد القادر منصور، وكتاب تفسير السمعاني: من سورة الشورى إلى نهاية سورة النجم بتحقيق محمد الأمين بن الحسين الشنقيطي.

٢) **الحديث**، والمراد بالحديث ها هنا: السنة، وهي طريقة السلف أصحاب الحديث ومنهجهم في أبواب الدين والاعتقاد، وهو ما يسمى بعلم العقيدة، فمما ألف في هذا الباب: كتاب الانتصار لأصحاب الحديث، وهو الكتاب الذي بين أيدينا[١]، وكتاب القدر أو الرد على القدرية[٢] وهو الكتاب الذي أهداه أبو المظفر لأخيه أبي القاسم عندما هجره بسبب انتقاله عن مذهب أبي حنيفة[٣] .

٣) **المرويات الحديثية**، فقد أملى المجالس في الحديث، وتكلم على كل حديث بكلام مفيد[٤]، وجمع الأحاديث الألف الحسان من مسموعاته عن مائة شيخ له، عن كل شيخ عشرة أحاديث[٥] .

٤) **الفقه**، فقد ألف في الخلاف كتاب البرهان، وهو مشتمل على قريب من ألف مسألة خلافية[٦]، وكتاب الاصطلام الذي قال عنه حفيده: (المختصر الذي سار في الآفاق والأقطار، الملقب بالاصطلام، وردَّ فيه على أبي زيد الدبوسي وأجاب عن الأسرار التي جمعها)[٧] .

---

(١) سيأتي الكلام عليه لاحقا في المطلب الثاني .

(٢) لايوجد هذا الكتاب ـ حسب اطلاعي ـ مطبوعا ولا مخطوطا، وممن نقل عن هذا الكتاب تلميذه التيمي في الحجة: ١٩/٢ والنووي في شرحه على صحيح مسلم: ١٨٦/١٦ وابن حجر في فتح الباري: ٤٧٧/١١ . وقد أشار أبو المظفر إلى هذا الكتاب في الانتصار: ٥٠ .

(٣) انظر ذلك فيما تقدم ص ١٣،١٤ .

(٤) انظر طبقات ابن السبكي: ٣٤٢/٥ .

(٥) انظر الأنساب: ٢٢٥/٧ .

(٦) انظر الأنساب: ٢٢٤/٧ .

(٧) الأنساب: ٢٢٤/٧ . وقد قام الدكتور نايف العمري بتحقيق ونشر ربع العبادات من كتاب الاصطلام ، وذلك في مجلدين .

٥) **أصول الفقه**، فقد ألف في ذلك كتاب قواطع الأدلة[(١)] .

وهو الكتاب الذي قال عنه ابن السبكي:(ولا أعرف في أصول الفقه أحسن من كتاب "القواطع" ولا أجمع)[(٢)] .

وقال أبو سعد السمعاني: (وهو مغن عما صُنف في ذلك الفن)[(٣)] .

وقال الزركشي: (وهو أجل كتاب للشافعية في أصول الفقه نقلا وحجاجا) [(٤)] .

---

(١) حَقق بعض هذا الكتاب الدكتور عبد الله الحكمي، في أربع مجلدات: "من أوله إلى بداية كتاب القياس"، وذلك في رسالة علمية (دكتوراه) قُدمت إلى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض سنة ١٤٠٨هـ .

وقد قام الدكتور محمد حسن هيتو بنشر مقدمة كتاب القواطع، وذلك في مجلة معهد المخطوطات العربية بالكويت: المجلد الأول ـ الجزء الأول ـ ربيع الأول ـ شعبان ١٤٠٢ هـ . إلا أنه ـ من حيث يقصد أو لا يقصد ـ وقع في خلط عظيم، فمن ذلك: أنه نسب لأهل السنة قول الأشاعرة في مسألة التحسين والتقبيح العقليين فقال في ص ٢٤٥ تعليق(١): "لأن الحُسن عند أهل السنة ما حسَّنه الشرع، والقبيح ما قبَّحه الشرع، فلا حكم قبل الشرع عندنا، والعقل لا يحسن ولا يقبح، والأشياء لا يوجد فيها حسن ولا قبح ذاتي" انظر للرد على هذا الخلط التعليق الآتي في ص ٧٥، ٧٦ من كتاب الانتصار، ومن ذلك أيضا: ما ورد في ص ٢٤٧ تعليق(٢) فقد عرَّف الأشعرية بقوله: "هم أتباع أبي الحسن الأشعري، إمام أهل السنة رحمه الله" والحق أن أبا الحسن الأشعري مرّ في حياته العقدية بعدة أطوار، آخرها رجوعه وميله إلى مذهب أهل السنة والحديث، أما المنتسبون إليه وهم الأشاعرة فإنهم لم يقولوا بما قاله الأشعري في كتبه المتأخرة كالإبانة وغيره . قال ابن تيمية في موافقة صريح المنقول لصريح المعقول: (٢/ ٨، ٩) : "ولم يكن الأشعري وأئمة أصحابه على هذا؛ بل كانوا موافقين لسائر أهل السنة في وجوب تصديق ما جاء به الشرع مطلقا، والقدح فيما يعارضه، ولم يكونوا يقولون: الأدلة السمعية لا تفيد اليقين، بل كل هذا مما أحدثه المتأخرون الذين مالوا إلى الاعتزال والفلسفة من أتباعهم" .

انظر مقدمة الشيخ حماد الأنصاري لكتاب الإبانة للأشعري ومقدمة الباحث عبد الله شاكر الجنيدي لرسالة أبي الحسن الأشعري إلى أهل الثغر: ٤١-٤٤ وموقف ابن تيمية من الأشاعرة للدكتور عبد الرحمن المحمود: ١/٣٦١-٤٠٩ .

(٢) طبقات الشافعية: ٥/٣٤٣ .

(٣) الأنساب: ٧/٢٢٤ .

(٤) البحر المحيط: ١/٨ .

٦- ثناء العلماء عليه:

قال الإمام أبو علي بن الصفار: (إذا ناظرتُ أبا المظفر فكأني أُناظر رجلا من أئمة التابعين، مما أرى عليه من آثار الصالحين)[١] .

وقال إمام الحرمين: (لو كان الفقه ثوبا طاويا لكان أبو المظفر بن السمعاني طرازه)[٢] .

وقال حفيده أبو سعد: (إمام عصره بلا مدافعة، وعديم النظير في وقته، ولا أقدر على أن أصف بعض مناقبه)[٣] .

ووصفه ابن القيم بقوله: (وقال إمام عصره المجمع على إمامته، أبو المظفر ...)[٤] .

وقال الذهبي: (تعصب لأهل الحديث والسنة والجماعة، وكان شوكا في أعين المخالفين، وحجة لأهل السنة)[٥] .

* * *

---

(١) سير أعلام النبلاء: ١١٨/١٩ .
(٢) طبقات ابن السبكي: ٣٤٢/٥ .
(٣) الأنساب: ٢٢٣/٧ .
(٤) مختصر الصواعق: ٤٨٤ .
(٥) سير أعلام النبلاء: ١١٦/١٩ .

المطلب الثاني: التعريف بالكتاب

١ـ تحقيق اسم الكتاب وتوثيق نسبته إلى المؤلف:

اتفقت المصادر على نسبة كتاب الانتصار لأبي المظفر، وإنما اختلفت هذه المصادر في ضبط اسمه؛ فبعضهم اكتفى بـ (الانتصار)[١]، وبعضهم سمّاه (الانتصار في الحديث)[٢]، والبعض الآخر سمّاه: (الانتصار بالأثر في الرد على المخالفين)[٣].

ولعل أقرب هذه التسميات (**الانتصار لأصحاب الحديث**) لما يأتي:

١) أن المؤلف ذكره بهذا الاسم وأحال عليه في كتاب القواطع . قال رحمه الله: (وقد ذكرت طرفا صالحا من هذا النمط في كتاب "**الانتصار لأصحاب الحديث**" وذكرت الفرق بين طرق الكلام والفقه بأبين وجه وأوضح معنى)[٤]، وذلك في معرض الرد على المتكلمين الذين أوجبوا على العامي الاجتهاد في أصول الدين[٥].

٢) أن صاحب كشف الظنون ذكره بهذا الاسم، وقد بيَّن أن الكتاب مشتمل على ثلاثة أبواب مما يدل على وقوفه عليه[٦].

---

(١) انظر الأنساب: ٣٢٤/٧ ووفيات الأعيان: ٢١١/٣ ومختصر الصواعق: ٤٨٤ وطبقات ابن السبكي: ٣٤٢/٥ .

(٢) انظر البداية والنهاية: ١٦٤/١٢ .

(٣) انظر سير أعلام النبلاء: ١١٧/١٩ وذكره ابن قاضي شهبة باسم (الانتصار في الرد على المخالفين) انظر طبقات الشافعية له: ٢٧٤/١ .

(٤) قواطع الأدلة: ق ٢٨٨/ب . وانظر أيضا المقدمة الدراسية لكتاب القواطع للدكتور عبد الله الحكمي: ١٢٢-١٢٦ .

(٥) انظر الانتصار: ٥٩-٧٤ .

(٦) انظر كشف الظنون: ١٧٣/١ وسيأتي ذكر كلامه في ص ٢٤ .

٣) أن هذا ـ فيما يظهر ـ هو اسم الكتاب بالكامل، ومن اقتصر على (الانتصار) فلعله أراد الاختصار، وأما من أضاف (في الحديث) أو (بالأثر) أو (في الرد على المخالفين) فمراده ـ كما يظهر ـ بيان موضوع الكتاب .

وأما توثيق نسبة هذا النص الذي بين أيدينا إلى مؤلفه أبي المظفر فيدل عليه اشتهاره لدى أهل العلم واستفادتهم منه ونقلهم عنه، فممن نقل عنه وصرَّح باسم المؤلف:

١. تلميذه قوام السنة التيمي الأصبهاني (ت سنة ٥٣٥ هـ) وذلك في كتابه الحجة في بيان المحجة .

٢. ابن قيم الجوزية (ت سنة ٧٥١ هـ) وذلك في كتابه الصواعق المرسلة .

٣. الحافظ ابن حجر العسقلاني (ت سنة ٨٥٢ هـ) وذلك في كتابه فتح الباري[١] .

٤. جلال الدين السيوطي (ت سنة ٩١١ هـ) وذلك في كتابه صون المنطق والكلام . قال: (ذكْر كلام الإمام أبي المظفر بن السمعاني في ذلك . قال في كتابه الانتصار لأهل الحديث ...)[٢] .

يضاف إلى ذلك:

أن المؤلف في كتابه قواطع الأدلة أحال إلى كتاب الانتصار، وهذه الإحالة موجودة في الجزء الذي بين أيدينا[٣] من كتاب الانتصار .

كما أن المؤلف في كتاب الانتصار أحال إلى كتاب آخر له وهو كتاب القدر[٤] .

---

(١) انظر فتح الباري: ٣٤٩/١٣، ٣٥٢، ٣٥٣، ٥٠٧ .

(٢) صون المنطق والكلام: ١٤٧ .

(٣) تقدم في ص ٢٢ ذكر هذه الإحالة، وذلك عند الكلام على تحقيق اسم الكتاب عند ذكر السبب الأول من أسباب ترجيح اسم "الانتصار لأصحاب الحديث" .

٢) أبواب الكتاب ومسائله:

ذكر صاحب كشف الظنون[١] أن كتاب الانتصار مختصر على ثلاثة أبواب:

الأول: في الحث على السنة والجماعة .

والثاني: في فضل الحديث .

والثالث: في شجرة العلم .

أما الجزء المحقق الذي بين أيدينا فإنه يتضمن الفصول الآتية:

١ـ الذامُّون لأصحاب الحديث صنفان: أهل الكلام وأهل الرأي .

٢ـ باب الحث على السنة والجماعة والاتباع وكراهة التفرق والابتداع .

٣ـ ما ورد عن الأئمة في ذمِّ الكلام .

٤ـ فصل فيما روي عن السلف من ذم الجدال والخصومات في الدين وما كرهوا من ذلك .

٥ـ سؤال من أهل الكلام والجواب عليه، وهو قولهم: "إن علم الكلام يتضمن الرد على الملحدين والزنادقة والقائلين بقدم العالم، وكذلك أهل سائر الأهواء من هذه الأمة؛ فلا ينكر أن يكون علم الكلام على هذا الوجه مستحسنا"

٦ـ ذكْر الأدلة على حجيَّة خبر الواحد، والجواب عن قولهم: إن أخبار الآحاد لا تقبل فيما طريقه العلم .

٧ـ الإشارة إلى نشأة القول بأن خبر الواحد لا يفيد العلم بحال، وأنه لابد من نقله بطريق التواتر حتى يفيد العلم، وبيان أن هذا القول شيء اخترعته القدرية

==

(٤) انظر الانتصار: ٥٠ . وانظر عن كتاب القدر ما تقدم في ص ١٩ .

(١) انظر: ١٧٣/١ .

والمعتزلة، وكان قصدهم منه ردَّ الأخبار، وتَلَقَّفَه منهم بعض الفقهاء الذين لم يكن لهم في العلم قدم ثابت، ولم يقفوا على مقصودهم من هذا القول .

٨- من علامات الفرقة الناجية اتفاقهم في أصول الدين ومسائل الاعتقاد، وهذه العلامة ظاهرة في أهل الحديث دون من عداهم .

٩- من علامات الفرقة الناجية أيضا أنهم أعلم الناس برواية الحديث وحفظه وضبطه، وهم المتبعون له والداعون إلى العمل به، وهذه العلامة بيِّنة في أهل السنة أصحاب الحديث دون من خالفهم .

١٠- إبطال طريقة المتكلمين وأصلهم الذي يجعلونه قاعدة علومهم وهو قولهم: أول ما يجب على الإنسان النظر المؤدي إلى معرفة الباري .

١١- بيان معنى العقل ومقامه من الدين عند أهل السنة .

٣) منهج المؤلف ومصادره:

إن استخلاص منهج مؤلف ما في كتاب من كتبه يستدعي الوقوف على الكتاب بتمامه، أو الاطلاع على مقدمته، إلا أن شيئا من ذلك لم يتهيأ بالنسبة لهذا الكتاب .

لذا سأقتصر فيما يأتي على ذكر إشارات موجزة حول منهج المؤلف ومصادره في كتاب الانتصار:

١- الإكثار من إيراد النصوص السمعية من الكتاب والسنة، وكذا الأقوال المأثورة عن الصحابة والتابعين .

قال السيوطي في تلخيصه ونقله لكتاب الانتصار: (ثم سرد [أي السمعاني] جملة من الأحادبث الواردة في ذلك، وغالبها قد تقدم فيما لُخِّص من

ذم الكلام للهروي، ثم سرد جملة من الآثار عن الصحابة والتابعين في ذم البدع والمحدثات)[١] .

وفي موضع آخر قال السيوطي: (ثم قال [أي السمعاني] : ونذكر الآن ما ورد عن الأئمة في ذم الكلام، فذكر طائفة مما تقدم عن الأئمة مخرجا من ذم الكلام للهروي . ومما لم يتقدم: ما أسنده عن ...)[٢] .

٢ـ العناية بتحرير منهج السلف وتجلية طريقتهم في كثير من القضايا المهمة . فمن ذلك قوله: (واعلم أنك متى تدبرت سيرة الصحابة ومن بعدهم من السلف الصالح وجدتهم ينهون عن جدال أهل البدعة بأبلغ النهي، و لا يرون ردَّ كلامهم بدلائل العقل)[٣] .

٣ـ وفي المقابل عني المؤلف عند مناقشته لأقوال المتكلمين بإيضاح جملة من أصولهم وقواعدهم التي ينون عليها هذه الأقوال، ثم إنه يتبعها بالرد والإبطال . فمن ذلك قوله: (... وإنما أنكرنا طريقة أهل الكلام فيما أسسوا؛ فإنهم قالوا: "أول ما يجب على الإنسان النظر المؤدِّي إلى معرفة الباري عز وجل" . وهذا قول مخترع لم يسبقهم إليه أحد من السلف وأئمة الدين، ولو أنك تدبرت جميع أقوالهم وكتبهم لم تجد هذا في شيء منها لا منقولا من النبي ﷺ ولا من الصحابة وكذلك من التابعين بعدهم)[٤] .

٤ـ لم يصرح المؤلف باسم مصدر من المصادر التي أفاد منها في هذا الكتاب، وغاية ما تبين لي أن المؤلف قد استفاد في بعض فصول الكتاب استفادة ظاهرة من كتابين اثنين:

---

(١) صون المنطق والكلام: ١٤٩ .

(٢) صون المنطق والكلام: ١٥٠ .

(٣) الانتصار: ١٦ وانظر أيضاً: ١٠، ٢٣ .

(٤) الانتصار: ٦١ وانظر أيضاً: ٣٤، ٦٦-٦٩ .

الأول: كتاب الغنية عن الكلام وأهله للإمام الخطابي، فقد نقل المؤلف منه نصوصا مطولة بألفاظها[١] .

والثاني: كتاب تأويل مختلف الحديث للإمام ابن قتيبة، فالذي يغلب على الظن أن المؤلف في بعض المواضع نقل عنه بالمعنى، وأفاد منه[٢] .

٤) قيمة الكتاب ومكانته:

١. يعد كتاب الانتصار مصدرا أصيلا في التعريف بأهل السنة والجماعة وبيان علاماتهم وخصائصهم، وقد استفاد ابن القيم عند ذكره لعلامات أهل السنة في كتابه الصواعق المرسلة مما حرَّره السمعاني وبنى عليه، ثم أضاف إليه .

٢. يعتبر كتاب الانتصار مرجعا مهما في تقرير منهج السلف وتحرير مذهبهم في جملة من المسائل التي بُنيت على أصول أهل الكلام وقواعدهم، وهذه المسائل مما يكثر وروده في **أصول الفقه على وجه الخصوص** . فمن هذه المسائل:

أ - استحسان الخوض في علم الكلام، والكلام في الدين بالعقل والرأي .

ب - القول بأن خبر الواحد لا يفيد العلم فيما سبيله العلم .

جـ - التحسين والتقبيح العقليان .

د - القول بأن النظر أول الواجبات .

هـ - اتخاذ العقل أصلا قاطعا وعرْض النصوص السمعية عليه فما وافقه قُبل وما خالفه رُدَّ .

---

(١) انظر الانتصار: ٢٥، ٢٦، ٣١، ٧١، ٧٢، ٧٧ .

(٢) انظر الانتصار: ١، ٣٦، ٤٥، ٤٧، ولعل مما يؤكد هذا أن المؤلف صرَّح بالنقل عنه في كتابه قواطع الأدلة . انظر كتاب القواطع بتحقيق الدكتور عبد الله الحكمي: ٧٧٥ .

٣.تميَّز أسلوب السمعاني في كتابه هذا بالعاطفة الصادقة والمشاعر الحية، فقد خطه بقلم يشتعل إيمانا ومداد يفيض وجدانا، كما أنه يخاطب العقل ويدعو إلى إعمال الفكر والبصيرة . **وإليك فيما يأتي شواهد على ذلك من بليغ كلامه وعزيز بيانه:**

"فليتق امرؤ ربَّه عز وجل، ولا يُدخلنَّ في دينه ما ليس منه، وليتمسك بآثار السلف والأئمة المرضية، وليكونن على هديهم وطريقهم، وليعَض عليها بنواجذه، ولا يُوقعن نفسه في مهلكة يضل فيها الدين، ويشتبه عليه الحق، والله حسيب أئمة الضلال الداعين إلى النار، ويوم القيامة لا ينصرون"(١) .

"وإن كان الجواب الصحيح ما ذكرناه، وهو طريق أهل الحق، ولا معدل بنا عن طريقهم، بل لا نختار عليه شيئا غيره، ولا نطلب طريقا سواه .

نسأل الله تعالى أن يثبتنا عليه، وأن يمدنا بتوفيق بعد توفيق، من قِبَله، وأن يجعل ما قصدناه من بيان الحق لوجهه، وسعْينا لطلب ما عنده، إنه عليم قدير، وولي كريم"(٢) .

"وقد ظهر بما قدمنا وذكرنا ـ بحمد الله ومنّه ـ أن الطريق المستقيم مع أهل الحديث، وأن الحق ما نقلوه ورووه .

ومن تدبر ما كتبناه وأعطى من قلبه النَّصَفَة، وأعرض عن هواه، واستمع وأصغى بقلب حاضر، وكان مسترشداً مستهدياً، ولم يكن متعنتا، وأمده الله بنور اليقين؛ عرف صحة جميع ما قلناه، ولم يخف عليه شيء من ذلك"(٣) .

---

(١) الانتصار: ٣٣ .
(٢) الانتصار: ٥٠-٥١ .
(٣) الانتصار: ٥٠ .

"فـانظر ــ وفقـك الله للحـق ــ أي الفريقـين أحــق بـأن يُنســب إلى اتبــاع السـنة واستعمال الأثـر: الفرقـة الأولى أم الثانيــة ؟

فـإذا قضيـت بـين هذيـن بوافــر لُبِّــك وصحيــح نظــرك وثــاقب فهمــك؛ فليكــن شــكرك لله علــى حســب مــا أراك مــن الحــق، ووفقــك للصــواب، وألهمك مـن السّـداد، واختصـك بـه مـن إصابـة الحسـن في القـول والعمـل .

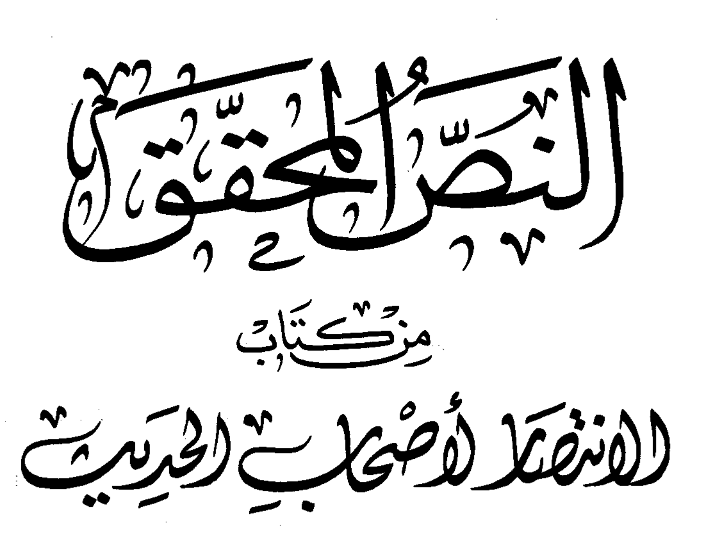
فـإذا كنـت كذلـك فقــد ازددت يقينـا علــى يقــين، وثلجــا علــى ثلــج، وإصابـة على إصابــة، ومــن الله التــأييد والتســديد والإلهــام والإعــلام، وهــو حسْـب أهـل السـنة، وعليـه توكلهـم، ومنـه معونتهـم وتوفيقهـم ونصرتهـم بمنّـه وفضلـه وعميـم كرمـه وطَوْلـه"[1] .

* * *

(١) الانتصار: ٥٨ .

جدول بالمصادر المعتمدة في إثبات مادة كتاب الانتصار

	الموضوع ورقمه من كتاب الانتصار	صون المنطق	الحجة في بيان المحجة	مختصر الصواعق
١	الذامون لأصحاب الحديث صنفان	١٤٧-١٤٨	* * *	* * *
٢	باب الحث على السنة والجماعة	١٤٨-١٥٠	* * *	* * *
٣	ما ورد عن الأئمة في ذم الكلام	١٥٠-١٥٣	* * *	* * *
٤	فصل فيما روي عنهم من ذم الجدال والخصومات في الدين	١٥٣-١٥٧	* * *	* * *
٥	سؤال من أهل الكلام	١٥٧-١٦٠	١/٣٦١-٣٦٦	* * *
٦	حجية خبر الواحد	١٦٠-١٦٤	٢/٢١٤-٢٢٢	٤٨٥-٤٨٧
٧	من علامات الفرقة الناجية اتفاقهم في أصول الدين ومسائل الاعتقاد	١٦٥-١٧٠	٢/٢٢٢-٢٣٠	٤٨٧، ٤٩٦-٤٩٨
٨	من علامات الفرقة الناجية أيضا اشتغالهم بالحديث علما وعملا	* * *	٢/٢٣٠-٢٣٦ وتكرر بعضه بالمعنى في: ٢/٣٨٥-٣٨٦	٤٩٨-٥٠٠، ٤٨٧-٤٨٨
٩	إبطال طريقة النظر عند المتكلمين	١٧٠-١٧٨	٢/١١٦-١٢٢، ١٤١-١٤٦	* * *
١٠	معنى العقل ومقامه من الدين عند أهل السنة	١٧٨-١٨٣	١/٣١٤-٣٢٢	* * *


النصّ المحقّق
من كتاب
الانتصار لأصحاب الحديث

[١- الذامّون لأصحاب الحديث صنفان[١]]

قد لهج بذم أصحاب الحديث صنفان: **أهل الكلام وأهل الرأي**، فهم في كل وقت يقصدونهم بالثلب والعيب، وينسبونهم إلى الجهل وقلة العلم، واتباع السواد على البياض .

وقالوا: غُثاء[٢] وغُثْر[٣]، وزوامل[٤] أسفار، وقالوا: أقاصيص وحكايات وأخبار، وربما قرؤوا: ﴿كمثل الحمار يحمل أسفارا﴾ [الجمعة:٥][٥] .

---

(١) للاستزادة في هذا الموضوع ينظر: تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة: ٥-١٥، ٥١-٥٩ والمحدث الفاصل للرامهرمزي: ١٥٩-١٦٢ ومعالم السنن للخطابي: ٣/١-٥ و شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي: ٣-١٢ والفقيه والمتفقه له: ٧١/٢-٨٥ ورسالة مختصر نصيحة أهل الحديث له أيضا، وهي فصل من كتابه الفقيه والمتفقه: ٧٧/٢-٨٥ وكتاب الفصام المبتدع بين أهل الفقه وأهل الحديث للشيخ عقيل المقطري .

(٢) الغثاء: ما يجيء فوق السيل مما يحمله من الزبد والوسخ وغيره، وقد يراد به: أرذال الناس وسقطهم . انظر النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣٤٣/٣ .

(٣) الغثر: سفلة الناس . انظر القاموس المحيط: ١٠٣/٢ .

(٤) الزوامل جمع زاملة وهي البعير الذي يحمل عليه الطعام والمتاع . انظر لسان العرب: ٣١٠/١١ .

(٥) انظر نحو ذلك في تأويل مختلف الحديث: ١٠، ٥٥ والمحدث الفاصل: ١٦٢ والفقيه والمتفقه: ٧٢/٢ .

وفي الحقيقة: ماثلموا إلا دينهم، ولا سعوا إلا في هلاك أنفسهم، وما للأساكفة[(١)] وصوغ الحلي وصناعة البَزّ[(٢)]، وما للحدادين وتقليب العطر والنظر في الجواهر، أما يكفيهم صدأ الحديد، ونفخ في الكير[(٣)]، وشُوَاظ[(٤)] الذيل والوجه، وغبرة في الحَدَقة[(٥)]، وما لأهل الكلام ونقد حملة الأخبار، وما أحسن قول من قال:

بلاء ليس يشبهه بلاء — عداوة غير ذي حسب ودين
ينيلك منه عرضا لم يصنه — ويرتع منك في عرض مصون

لكن الحق عزيز، وكلٌّ مع عزَّته يدعيه، ودعواهم الحق تحجبهم عن مراجعة الحق . نعم؛ إن على الباطل ظلمة، وإن على الحق نورا، ولايبصر نور الحق إلامن حُشي قلبه بالنور: ﴿ومن لم يجعل ا لله له نورا فما له من نور﴾ [النور: ٤٠] فالمتخبط في ظلمات الهوى، والمتردي في مهاوي الهلكة، والمتعسف في المقال؛ لايوفَّق للعود إلى الحق، ولايرشد إلى طريق الهدى، ليظهر وعورة

---

(١) الأساكفة جمع إسكاف وهو الخراز الذي يصنع الخفاف، وقيل: الإسكاف كل صانع . انظر لسان العرب: ٥/٣٤٤ والمصباح المنير: ٢٨٢ .

(٢) البز: الثياب . انظر المصباح المنير: ٤٧ .

(٣) الكير: زق الحداد الذي ينفخ به ويكون من جلد غليظ . انظر المصباح المنير: ٥٤٥ .

(٤) الشواظ: اللهب الذي لا دخان فيه، وقيل: قطعة من نار ليس فيها نحاس . انظر لسان العرب: ٧/٤٤٦ .

(٥) حدقة العين: سوادها . انظر المصباح المنير: ١٢٥ .

مسلكه، وعزّ جانبه، وتأبيه إلا على أهله ﴿كذلك زينا لكل أمـة عملهـم ثـم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون﴾ [الأنعام:١٠٨] .

□□□ □□□ □□□

[٢] باب
الحث على السنة والجماعة والاتباع وكراهة التفرق والابتداع

اعلم أن الله تعالى أمر خلقه بلزوم الجماعة ونهاهم عن الفرقة وندبهم إلى الاتباع وحثّهم عليه، وذمَّ الابتداع وأوعدهم عليه .

وذلك بيِّنٌ في كتابه وسنة رسوله [ﷺ]:

قال تعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا﴾ [آل عمران:١٠٣] وقال: ﴿شرع لكم من الدين ما وصَّى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾ [الشورى:١٣] وقال: ﴿وأنَّ هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصّاكم به لعلكم تتقون﴾ [الأنعام:١٥٣] وأمر تعالى باتباع النبي ﷺ في آيات من كتابه .

وقد وردت الأحاديث حاثّة على لزوم سنته واجتناب كل بدعة .

وإذا ثبت أنّا أُمرنا بالاتباع والتمسك بأثر النبي ﷺ ولزوم ماشرعه لنا من الدين والسنة، ولا طريق لنا إلى الوصول إلى هذا إلا بالنقل والحديث، بمتابعة الأخبار التي رواها الثقات والعدول من هذه الأمة عن رسول الله ﷺ وعن الصحابة ومن بعده .

فنشرح الآن قول أهل السنة:" **إن طريق الدين هو السمع والأثر، وأن طريقة العقل والرجوع إليه وبناء السمعيات عليه، مذموم في الشرع ومنهي عنه** "(١) ونذكر مقام العقل في الشرع، والقدْر الذي أمر الشرع باستعماله وحرم مجاوزته .

وقد سلك **أهل الكلام** في ردِّ الناس من الأحاديث إلى المعقولات طريقاً شبَّهوا بها على عامة الناس . قالوا:

"إن أمر الدين أمر لابد فيه من وقوع العلم ليصح الاعتقاد فيه؛ فإن المصيب في ذلك عند اختلاف المختلفين واحد، والمخالف في أمر من أمور الدين الذي مرجعه إلى الاعتقاد إما كافر أو مبتدع .

وما كان أمره على هذا الوجه فلابد في ثبوته من طريق توجب العلم حتى لا يتداخل من حصل له العلم بذلك شبهة وشك بوجهٍ من الوجوه .

والأخبار التي يرويها أهل الحديث في أمور الدين أخبار آحاد، وهي غير موجبة للعلم، وإنما توجب الإعمال في الأحكام خاصة .

وإذا سقط الرجوع إلى الأخبار فلابد من الرجوع إلى دليل العقل، وما يوجبه النظر والاعتبار " .

---

(١) من ذلك قول سفيان الثوري: (إنما الدين بالآثار ليس بالرأي، إنما الدين بالآثار ليس بالرأي، إنما الدين بالآثار ليس بالرأي) أخرجه الخطيب البغدادي في شرف أصحاب الحديث: ٦ برقم ٥ .

فهذا من أعظم شبههم في الإعراض عن الأحاديث والآثار، وسيأتي الجواب عنها(١) .

وقد قال عمر بن الخطاب: (إنه سيأتي أناس يأخذونكم بشبهات القرآن فخذوهم بالسنن، فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله)(٢) .

□□□ □□□ □□□

---

(١) انظر ص ٣٤ .

(٢) أخرجه الدارمي في سننه: ٤٩/١ والآجري في الشريعة: ٧٤،٥٢،٤٨ وابن بطة في الإبانة: ٢٥٠/١ برقم٨٤،٨٣ وابن زمنين في أصول السنة: ٥٠ واللالكائي في السنة: ١٣٩/١ برقم٢٠٣،٢٠٢ وابن عبد البر في الجامع: ١٠٤١ والخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه: ١٨١-١٨٠/١ .

[٣ـ ما ورد عن الأئمة في ذمِّ الكلام(١)]

ونذكر الآن ماورد عن الأئمة في ذم الكلام:

عن سهيل بن نعيم قال: قال الشافعي: (كل من تكلم بكلام في الدين أو في شيء من هذه الأهواء ليس [له] فيه إمام متقدم من النبي ﷺ وأصحابه فقد أحدث في الإسلام حدثا .

وقد قال النبي ﷺ : ((من أحدث حدثا أو آوى محدثا في الإسلام فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يَقبل منه صرفا ولا عدلا))(٢) .

---

(١) للاستزادة في ذلك انظر: ذم الكلام وأهله للهروي بواسطة صون المنطق والكلام للسيوطي: ٣٣-٨١ والإبانة الكبرى لابن بطة: ٢/٤٨٣-٥٤٩ وإحياء علوم الدين للغزالي: ١/٩٤-٩٩ والحجة في بيان المحجة للتيمي: ١/١٠٢-١٠٦ وتلبيس إبليس لابن الجوزي: ٨٢-٨٩ ودرء التعارض لابن تيمية: ٧/١٤٤-١٨٦ وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز: ٢٢١-٢٢٧ والآداب الشرعية لابن مفلح: ١/١٩٩-٢٠٩ ولوامع الأنوار للسفاريني: ١/١٠٨-١١١ ولوائح الأنوار السنية: ١/١٨٤-١٩٣ والمسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة: ٢/٣٩٨-٤١١ وموقف ابن تيمية من الأشاعرة: ٢/٧٧٣-٧٩١ والآثار الواردة عن أئمة السنة من كتاب سير أعلام النبلاء: ٦٤٧-٦٩٤ .

(٢) أخرجه ابن بطة في الإبانة: ١/٣٣٦ برقم ١٩٩ بلفظ قريب منه، وأصله في الصحيحين وغيرهما، لكن مع تقييد الإحداث بالمدينة على وجه الخصوص . انظر صحيح البخاري: ٤/٨١ برقم١٨٧٠ ومسلم: ٩/١٤٠ .

قال الشاطبي: "وهو وإن كان مختصا بالمدينة؛ فغيرها أيضا يدخل في المعنى" الاعتصام: ١/٧٢ .

ويقول: (إياكم والنظر في الكلام؛ فإن رجلا لو سُئل عن مسألة في الفقه فأخطأ فيها، أو سُئل عن رجل قتل رجلا فقال: ديته بيضة؛ كان أكثر شيء أن يُضحك منه، ولو سُئل عن مسألة في الكلام فأخطأ فيها نُسب إلى البدعة)(١) .

فهذا كلام الشافعي في ذمِّ الكلام والحث على السنة، وهو الإمام الذي لا يُجارى، والفحل الذي لا يُقاوم(٢) .

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية: ٩/١١٣ وانظر مناقب الإمام الشافعي للرازي: ١٠٠ .

(٢) ذكر السيوطي ثلاث علل لتحريم السلف النظر في علم الكلام، جميع هذه العلل استنبطها من كلام الإمام الشافعي:

العلة الأولى: أنه سبب للإحداث والابتداع ومخالفة السنة ومخالفة غرض الشارع؛ ذلك أن من أراد تخريج القرآن والسنة والشريعة على مقتضى قواعد المنطق لم يصب غرض الشارع ألبتة، ونظير ذلك تحريم النظر في متشابه القرآن خوف الزيغ والفتنة، ولهذا قال الشافعي: (ما جهل الناس ولا اختلفوا إلا لتركهم لسان العرب وميلهم إلى لسان أرسطاطاليس) .

والعلة الثانية: كونه لم يَرد الأمر به في كتاب ولا سنة، ولا وُجد عن السلف البحث فيه، بخلاف العربية فإنه ورد الأمر بها في الحديث ووُجد عن السلف البحث فيها، وهذه العلة هي التي اعتمدها ابن الصلاح حيث أفتى بتحريم المنطق حيث قال: (وليس الاشتغال بتعلمه وتعليمه مما أباحه الشارع، ولا استباحه أحد من الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين) وكأن ابن الصلاح استنبط هذه العلة من قول الشافعي لبشر المريسي: (أخبرني عما تدعو إليه؟ أكتاب ناطق وفرض مفترض وسنة قائمة ووجدت عن السلف البحث فيه والسؤال) فقال بشر: (لا إلا أنه لا يسعنا خلافه) فقال الشافعي: (أقررت بنفسك على الخطأ . . .) .

==

فلو جاز الرجوع إليه وطلب الدين من طريقه لكان بالترغيب فيه أولى من الزجر عنه وبالندب إليه أولى من النهي عنه، فلا ينبغي لأحد أن ينصر مذهبه في الفروع ثم يرغب عن طريقته في الأصول .

وكان سفيان الثوري[١] يبغض أهل الأهواء، وينهى عن مجالسهم أشد النهي[٢] ويقول: (عليكم بالأثر، وإياكم والكلام في ذات الله) .

وكان أحمد بن حنبل يقول: (أئمة الكلام زنادقة)[٣] .

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ :((تفكروا في خلق الله، ولا تفكروا في الله))[٤] .

==

والعلة الثالثة: كونه أسلوباً مخالفاً لأسلوب الكتاب والسنة أو كونه سبباً لترك الكتاب والسنة ونسيانهما، وإلى هذه العلة أشار الشافعي بقوله: (حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد ويحملوا على الإبل ويطاف بهم في العشائر والقبائل ويُنادى عليهم: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام) . انظر صون المنطق والكلام: ١٥-٣٣ .

(١) هو أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، إمام حافظ، توفي سنة١٦١هـ . انظر تذكرة الحفاظ: ٢٠٣/١ .

(٢) أخرجه ابن بطة في الإبانة: ٤٦٣/٢ .

(٣) أورده الغزالي في إحياء علوم الدين: ٩٥/١ وابن الجوزي في تلبيس إبليس: ٨٣ وابن تيمية في درء التعارض: ١٥٧/٧ وانظر مجموع الفتاوى: ٤٦٠/١٢ .

(٤) أخرجه التيمي في الحجة: ٩٨/١ واللالكائي في السنة: ٥٨٠/٣ برقم ٩٢٧ بلفظ"تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله" وقال الألباني: (وبالجملة فالحديث بمجموع طرقه حسن عندي) السلسلة الصحيحة: ٢٩٧/٤ وانظر صحيح الجامع: ٥٧٢/١ برقم ٢٩٧٥، ٢٩٧٦ .

وإنما تردُّ البدعة بالأثر لاببدعة مثلها، فإنه رُوي عن عبد الرحمن بن مهدي الإمام المقدم[1] قال:

(إنما يردُّ على أهل البدع بآثار رسول الله ﷺ وآثار الصالحين، فأما من ردَّ عليهم بالمعقول فقد ردَّ باطلا بباطل) .

فهؤلاء الأئمة هم المرجوع إليهم في أمر الدين وبيان الشرع، ومن سلك طريقا في الإسلام بعدهم: فإياهم يتبع، وبهم يقتدي، وموافقتهم يتحرّى؛ فلا يجوز لمسلم أن يظن بهم ظن السوء، وأنهم قالوا ذلك عن جهل وقلة علم وخبرة في الدين .

وما هذا إلا من الغل الذي أمر الله بالاستعاذة منه فقال: ﴿ولا تجعل في قلوبنا غلاّ للذين آمنوا﴾ [الحشر:١٠] .

فتبين لنا أن الطريق عند الأئمة الهادية: اتباع السلف والاقتداء بهم دون الرجوع إلى الآراء .

ومن هنا قال بعضهم: (العلم علمان: علم نبوي، وعلم نظري .

والعلم النظري محتاج إلى العلم النبوي؛ لأن العلم النبوي جاء من الله، وهو مقرون بالصواب على كل حال .

---

(١) هو أبو سعيد عبد الرحمن بن مهدي بن حسان العنبري، سمع الثوري ومالكا، وروى عنه ابن المبارك وابن حنبل، توفي سنة ١٩٨هـ . انظر تاريخ بغداد: ١٠/٢٤٠ وتذكرة الحفاظ: ١/٣٢٩ .

والعلم النظري: ما يستنبط، ويجوز أن يكون صوابا، ويجوز أن يكون خطأ) .

ومثال ذلك: ما قيل: (الماءُ ماآن: ماءٌ نزل من السماء، وماءٌ نبع من الأرض .

فالماء النازل من السماء على طعم واحد من اللذة والطيب، وعلى لون واحد من الصفاء والنقاء، وعلى جوهر واحد من الطهارة والنظافة؛ كذلك العلم النازل من السماء كالوحي .

والماء النابع من الأرض فعلى أنواع: منه صافٍ طاهر على موافقة وحي الله، ومنه خبيث كَدِر؛ لمخالفته وحي الله) .

وقال بعضهم: (الحديث أصل والرأي فرع، ولا يجوز أن يكون الأصل والفرع سواء، ولا حالهما في الرتبة والتقدمة واحدة)(١) .

ألا ترى إلى قوله ﷺ لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: ((بم تحكم؟)) قال: بكتاب الله . [قال:] ((فإن لم تجد؟)) قال: بسنة رسول الله . قال:

---

(١) انظر في سقوط الاجتهاد عند وجود النص: الفقيه والمتفقه"باب في سقوط الاجتهاد مع وجود النص": ٢٠٦/١ وجامع بيان العلم وفضله"باب اجتهاد الرأي على الأصول عند عدم النصوص في حين نزول النازلة": ٥٥/٢ وإعلام الموقعين"فصل في تحريم الإفتاء والحكم في دين الله بما يخالف النصوص وسقوط الاجتهاد والتقليد عند ظهور النص وذكر إجماع العلماء على ذلك": ٢٧٩/٢ .

((فإن لم تجد؟)) قال: أجتهد رأيي . قال: ((الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله))[١] .

فكان المصير إلى الحديث بمنزلة الماء في الطهارات، والقياس والرأي بمنزلة التراب، وإنما يصار إلى التراب عند عدم الماء؛ كذلك لا يصار إلى الرأي إلا عند عدم الحديث، فكان مثل من آثر الرأي والقياس وقدَّمهما على الحديث والأثر مثل من يعدل عن الطهارة بالماء في وقت السعة ويُؤثر التيمم بالتراب الذي وُضِع للضرورة والعدم[٢] .

ولقد أحسن سعيد بن حميد[٣] حين يقول:

---

(١) أخرجه أبو داود: ٣/ ٣٠٣برقم ٣٠٥٩٢ والترمذي: ٦١٦/٣ برقم ١٣٢٧ وقد صحح هذا الحديث الخطيب البغدادي قائلا: "على أن أهل العلم قد تقبلوه واحتجوا به فوقفنا بذلك على صحته عندهم" الفقيه والمتفقه: ١٨٩/١ إلا أن بعض المحدثين ضعفه من جهة السند مع القول بصحة معناه . انظر الكلام على هذا الحديث في: إعلام الموقعين: ٢٠٢/١ وتحفة الطالب: ١٥١ والمعتبر للزركشي: ٦٣ والابتهاج بتخريج أحاديث المنهاج: ٢١٠ .

وقد ذهب الشيخ الألباني إلى أن هذا الحديث ضعيف من جهة السند وأن في متنه مخالفة لأصل مهم وهو وجوب الأخذ بالكتاب والسنة معا وعدم جواز التفريق في التشريع بينهما . انظر منزلة السنة في الإسلام: ٢١،٢٢ وسلسلة الأحاديث الضعيفة: ٢٧٣/٢ برقم ٨٨١ .

(٢) للإمام الشافعي كلام بهذا المعنى . انظر الرسالة : ٥٩٩-٦٠٠ .

(٣) هو أبو عثمان سعيد بن حميد كان كاتبا شاعرا مترسلا عذب الألفاظ مقدما في صناعته جيد السرقة، حتى قال بعض الفضلاء: لو قيل لكلام سعيد وشعره: ارجع إلى أهلك لما بقي معه منه شيء، توفي نحو سنة ٢٥٠هـ . انظر وفيات الأعيان: ٨٠/٣ والأعلام: ٩٣/٣ .

فإنك حين تطرحني لقـوم ... هم عدم وفي صور الوجود
كمن هو تارك ماءً طهورا ... وراضٍ بالتيـمم بالصعيـد

وأنشدوا أيضاً(١):

ديـن النـبي محمـد آثـار ... نعـم المطية للفتى الأخبـار
لا تغفلنَّ عن الحديث وأهلـه ... فالرأي ليل والحديث نهـار
ولربما غلط الفتى سبل الهدى ... والشمس بازغـة لـها أنوار

وأنشدوا أيضاً(٢):

أهل الكلام وأهل الرأي قد جهلـوا ... علم الحديث الذي ينجو به الرجل
لو أنهم عرفـوا الآثار ما انحرفـوا ... عنهـا إلى غيرها لكنهـم جهلـوا

وأنشدوا أيضاً:

أهل الكلام دعونا من تعسفكـم ... كم تبتغون لدين الله تبديلا
ما أحدث الناس في أديانهم حدثا ... إلا جعلتم له وجهاً وتأويلا

ولأبي بكر بن أبي داود السجستاني(٣):

---

(١) هذه الأبيات أخرجها ابن عبد البر في الجامع: ٧٨٢/١ برقم ١٤٥٩ منسوبة إلى الإمام أحمد، وتنسب أيضاً لعبدة بن زياد الاصفهاني كما في شرف أصحاب الحديث: ٧٦ برقم١٦٣ وانظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة: ١٦٩/١ برقم٣١١ وإعلام الموقعين: ٧٩/١ .

(٢) الأبيات لأبي مزاحم الخاقاني وقد أخرجها عنه الخطيب البغدادي في شرف أصحاب الحديث: ٧٩ برقم١٦٩ .

(٣) هو الإمام عبد الله بن الإمام الحافظ أبي داود السجستاني صاحب السنن وقد توفي عبد الله

==

تمسكْ بحبل الله واتبع الـهـدى　　ولا تـك بدعيّاً لعـلك تفلـحُ
و لذْ بكتـاب الله والسـنن التي　　أتت عن رسول الله تنجو وتربـحُ
و دعْ عنك آراء الرجال وقولهم　　فقول رسول الله أزكـى وأشرح

وأنشد أيضاً:

خذْ ما أتاك به الأخبار من أثر　　شـبها بشبه وأمثالا بـأمثال
و لا تميلن يا هـذا إلى بـدع　　تضل أصحابها بالقيل والقال



==
رحمه الله تعالى سنة ٣١٦هـ . انظر طبقات الحنابلة: ٥٣/٢ وسير أعلام النبـلاء: ٢٢١/١٣ ولوائح الأنوار: ٩٨/١ .

وهذه الأبيات من القصيدة الحائية التي قال عنها ناظمها: "هذا قولي وقول أبـي وقـول أحمد بن حنبل وقول من أدركنا من أهل العلم ومن لم ندرك ممن بلغنـا عنـه فمـن قـال غـير هذا فقد كذب" انظر ذلـك في طبقـات الحنابلـة: ٥٣/٢-٥٤ وقـد شـرح هـذه القصيـدة السفاريني الحنبلي المتوفى سنة ١١٨٨هـ في كتاب "لوائـح الأنـوار السـنية ولواقـح الأفكـار السنية شرح قصيدة ابن أبي داود الحائية في عقيدة أهل الآثار السلفية" وهو مطبوع بتحقيق الدكتور عبد الله البصيري . انظر منه: ٩٠/١-٩٢،١٦٣ .

[٤] فصل

فيما روي عنهم من ذم الجدال والخصومات في الدين وما كرهوا من ذلك .

عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ : ((هلك المتنطعون، هلك المتنطعون، هلك المتنطعون))(١) .

وعن علي بن الحسين(٢) قال: قال رسول الله ﷺ : ((من حسن إسلام المرء تركه ما لايعنيه))(٣) .

وعن الحسن البصري(٤) أنه كان ينهى عن الخصومة، ويقول: (إنما يخاصم الشاك في دينه)(٥) .

---

(١) أخرجه مسلم: ٢٢٠/١٦ .

(٢) هو أبو الحسن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وليس للحسين رضي الله عنه عقب إلا من ولد زين العابدين هذا، وهو من سادات التابعين، توفي سنة٩٤هـ . انظر وفيات الأعيان: ٢٦٦/٣ وتذكرة الحفاظ: ٧٤/١ .

(٣) أخرجه مرسلا عن علي بن الحسين الإمام مالك في الموطأ: ٩٠٣/٢ والترمذي: ٥٥٨/٤ برقم ٢٣١٨ وصححه الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي في تخريجه للموطأ. والحديث أخرجه موصولا من طريق أبي هريرة رضي الله عنه ابن ماجه: ١٣١٥/٢ برقم ٣٩٧٦ والترمذي: ٥٥٨/٤ برقم ٢٣١٧ وحسنه النووي في الأربعين النووية . انظر١/٢٨٧ .

وعن ابن سيرين[١] قال: (إني لأدع المراء وإني لأعلمكم به) .

وقد جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿فأما الذين في قلوبهم زيغ﴾ [آل عمران:٧] يعني حب الجدل[٢] .

وقال الأوزاعي[٣]: (المنازعة والجدال في الدين محدث) .

واعلم أنك متى تدبرت سيرة الصحابة ومن بعدهم من السلف الصالح وجدتهم ينهون عن جدال أهل البدعة بأبلغ النهي، و لا يرون ردَّ كلامهم بدلائل العقل[٤] .

==

(٤) هو أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار، تابعي جليل، توفي سنة١١٠هـ . انظر تذكرة الحفاظ: ٧١/١ .

(٥) أخرجه ابن بطة في الإبانة: ٥١٨/٢ برقم ٦٠٩ .

(١) هو أبو بكر محمد بن سيرين، تابعي جليل، توفي سنة١١٠هـ . انظر تذكرة الحفاظ: ٧٧/١ .

(٢) ورد نحو ذلك فيما أخرجه ابن جرير في تفسيره: ١٧٨/٣ عن عائشة رضي الله عنها قالت: قرأ رسول الله ﷺ ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب﴾ إلى قوله ﴿وما يذكر إلا أولو الألباب﴾ [آل عمران: ٧] فقال: ((فإذا رأيتم الذين يجادلون فيه فهم الذين عنى الله فاحذروهم)) .

(٣) هو أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو الدمشقي، رأى ابن سيرين مريضا ويقال إنه سمع منه، توفي سنة١٥٧هـ . انظر تذكرة الحفاظ: ١٧٨/١ .

(٤) من الحكمة في ذلك ـ كما يقول الإمام أحمد ـ أنك "إذا رددت عليهم بعلم المعقول والجدل ألجأتهم إلى ردّ ما جئت به بالقياس والجدل فيكون سببا لرد الحق" . صون المنطق والكلام:

==

وإنما كانوا إذا سمعوا بواحد من أهل البدعة أظهروا التبري منه، ونهوا الناس عن مجالسته ومحاورته والكلام معه، وربما نهوا عن النظر إليه .

وقد قالوا[(١)]: (إذا رأيت مبتدعا في طريق فخذْ في طريق آخر) .

ولقد ظهرت هذه الأهواء الأربعة التي هي رأس الأهواء[(٢)] ـ أعني: القدر، والإرجاء، ورأي الحرورية[(٣)]، والرافضة ـ في آخر زمان الصحابة،

==

١٣١،١٣٢ وانظر الشريعة للآجري: ٥٤-٦٧ وكتاب الآثار الواردة عن أئمة السنة من كتاب سير أعلام النبلاء: ٦٧٤/٢-٦٨٨ وقد ذكر المؤلف ص١٠ فيما مضى قول الإمام عبد الرحمن بن مهدي في ذلك وسيأتي في ص٢٤ مزيد إيضاح وبيان، وذلك عند قول المؤلف: (واعلم أن الأئمة الماضين . . . .) .

(١) قال ذلك يحي بن أبي كثير(ت١٢٩هـ) وقد أخرجه عنه ابن وضاح في البدع: ٥٥ والآجري في الشريعة: ٦٤/١ وابن بطة في الإبانة: ٤٧٤/٢ برقم ٤٩٠ واللالكائي في السنة: ١٥٥/١ برقم ٢٥٩ .

(٢) يدل لذلك قول ابن المبارك (المتوفى سنة ١٨١هـ): (أصل اثنين وسبعين هوى أربعة أهواء فمن هذه الأربعة الأهواء تشعبت الاثنان وسبعون هوى: القدرية والمرجئة والشيعة والخوارج) أورده البربهاري في شرح السنة: ٥٧ وأخرج ابن بطة في الإبانة: ٣٧٩/١ برقم ٢٧٨ نحوه عن ابن المبارك أيضاً، وأخرج الآجري في الشريعة: ١٥ نحوه عن يوسف بن أسباط (المتوفى سنة ١٩٥هـ) وأخرجه عنه أيضاً ابن بطة في الإبانة: ٣٧٧/١ برقم ٢٧٧ والتيمي في الحجة: ١٤٠/٢ وانظر مجموع الفتاوى: ٣٥٠/٣ والاعتصام للشاطبي: ٢٢٠/٢وما بعدها .

(٣) الحرورية: فرقة من الخوارج كان أول اجتماعهم بقرية (حروراء) قرب الكوفة . انظر الإبانة لابن بطة: ٣٨١/١ والمصباح المنير: ١٢٩ .

فكان إذا بلغهم أمرهم أمروا بما ذكرنا، ولم يبلغنا عن أحد منهم أنه جادلهم بدلائل العقل، أو أمر بذلك .

وقد كانوا إلى عهد رسول الله ﷺ أقرب، وقد شاهدوا الوحي والتنزيل، وعدَّلهم الله في القرآن، وشهد لهم بالصدق، وشهد لهم النبي ﷺ بالخيرية في الدين .

وكانت طاعتهم أجل، وقلوبهم أسلم، وصدورهم أطهر، وعلمهم أوفر، وكانوا من الهوى والبدع أبعد[1] .

ولو كان طريق الردِّ على المبتدعة هو: الكلام ودلائل العقل والجدال معهم؛ لاشتغلوا به، وأمروا بذلك، وندبوا إليه .

وإنما ظهرت المجادلات في الدين والخصومات بعد مضي قرن التابعين ومن يليهم، حين ظهر الكذب، وفشت شهادات الزور، وشاع الجهل، واندرس أمر السنة بعض الاندراس، وأتى على الناس زمان حذَّر منه النبي ﷺ والصحابة من بعده .

---

(١) لابن مسعود رضي الله عنه كلام حول هذا المعنى أخرجه ابن عبد البر في الجامع: ٩٤٧/٢ برقم ١٨١٠ ولفظه: (من كان متأسيا فليتأس بأصحاب محمد ﷺ فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوبا، وأعمقها علما، وأقلها تكلفا، وأقومها هديا، وأحسنها حالا، قوما اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه ﷺ ، فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم في آثارهم، فإنهم كانوا على الهدي المستقيم) .

ولقد صدق إبراهيم النخعي[١] حيث يقول: (إن القوم لم يؤخر عنهم شيء خُبِّئ لكم لفضل عندكم)[٢] وإنما كان غايتهم التبري، وإظهار المجانبة، والأمر بالتباعد .

والمشهور عن ابن عمر [رضي الله عنهما] أنه لما بلغه قول أهل القدر قال: (أبلغوهم أني منهم بريء، ولو وجدت أعواناً لجاهدتهم) .

وقال ابن عباس [رضي الله عنهما]: (لو رأيت بعضهم لضربت رأسه) .

وأتى رجل علي بن أبي طالب [ﷺ] فقال: أخبرني عن القدر . قال: طريق مظلم فلا تسلكه . قال: أخبرني عن القدر . قال: بحر عميق فلا تلجه . قال: أخبرني عن القدر . قال: سرُّ الله فلا تكلَّفه[٣] .

وعن القاسم بن محمد بن أبي بكر[٤] قال: (يستتاب القدري، فإن تاب وإلا نفي من بلاد المسلمين) .

وقال عمر بن عبد العزيز: (ينبغي أن نتقدم إليهم فيما أحدثوا من القدر، فإن كفوا وإلا استلت ألسنتهم من أقفيتهم استلالا) .

---

(١) هو أبو عمران إبراهيم بن يزيد النخعي، فقيه العراق، دخل على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وهو صبي ولم يثبت له منها سماع، توفي سنة٩٥هـ . انظر وفيات الأعيان: ٢٥/١ وتذكرة الحفاظ: ٧٣/١ .

(٢) أخرجه ابن عبد البر في الجامع: ٩٤٦/٢ برقم ١٨٠٨ .

(٣) أخرجه اللالكائي في السنة: ٦٩٥/٤ برقم ١١٢٣ .

(٤) هو أبو عبد الرحمن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ﷺ، من سادات التابعين، توفي سنة١٠٧هـ . انظر وفيات الأعيان: ٥٩/٤ وتذكرة الحفاظ: ٩٦/١ .

فهذا طريق القوم في أمر البدع وأهلها[١].

قال رجل من أهل البدع لأيوب السختياني[٢]: يا أبا بكر أسألك عن كلمة، فولَّى وهو يقول: و لا نصف كلمة[٣].

وقال ابن طاوس[٤] لابن له ـ وتكلم رجل من أهل البدع ـ : يا بني أدخل أصبعيك في أذنيك، ثم قال: اشدد، اشدد[٥].

وقال عمر بن عبد العزيز: (من جعل دينه غَرَضاً للخصومات أكثر التنقل)[٦].

---

(١) تعامل السلف مع أهل البدع يختلف بحسب نوع البدعة وحال صاحبها وما يتصل بذلك من المكان والزمان والمقام، مع اتفاقهم على أصل مهم وهو التحذير من البدع والتنفير من أهلها، والمقصود أن يُنَزَّل كل صاحب بدعة في منزلته اللائقة به وببدعته، وبذلك يتم التوفيق بين أقوال أئمة السلف المتفاوتة في الحكم على أهل البدع . انظر اقتضاء الصراط المستقيم: ٦٠٩/٢ والاعتصام: ١٦٧/١، ١٧٥ وللاستزادة يراجع: حقيقة البدعة وأحكامها: ١٨٣/١-١٨٤ وكتاب الآثار الواردة عن أئمة السنة من كتاب سير أعلام النبلاء: ٧٤٥/٢-٧٤٨ وكتاب هجر المبتدع للشيخ بكر أبو زيد .

(٢) هو أبو بكر أيوب بن أبي تميمة كيسان السختياني البصري، سمع من سعيد بن جبير وابن سيرين، وروى عنه السفيانان، توفي سنة ١٣١هـ . انظر تذكرة الحفاظ: ١٣٠/١ .

(٣) أخرجه الدارمي في سننه: ١٠٩/١ والآجري في الشريعة: ٥٧ وابن بطة في الإبانة: ٤٤٧/٢، ٤٧٢ برقم ٤٠٢، ٤٨٢ وابن الجوزي في تلبيس إبليس: ١٣ .

(٤) هو أبو محمد عبد الله بن طاوس، ثقة فاضل عابد، وأبوه هو التابعي الجليل أبو عبد الرحمن طاوس بن كيسان اليماني، المتوفى سنة١٠٦هـ توفي أبو محمد سنة ١٣٢هـ . انظر تقريب التهذيب: ٤٢٤/١ برقم ٣٩١ وانظر في ترجمة طاوس تذكرة الحفاظ: ٩٠/١ .

(٥) أخرجه ابن بطة في الإبانة: ٤٤٦/٢ برقم ٤٠٠ .

وقال رجل للحكم بن عتيبة[1]: ما حمل أهل الأهواء على هواهم؟

قال: (الخصومات).

وقال معاوية بن قرة[2] - وكان أبوه[3] من أصحاب النبي ﷺ -: (إياكم وهذه الخصومات فإنها تحبط الأعمال)[4].

وقال أبو قلابة[5] - وكان قد أدرك غير واحد من أصحاب النبي ﷺ -: (لا تجالسوا أصحاب الأهواء أو قال: أصحاب الخصومات، و لا تكلموهم؛

==

(٦) أخرجه الآجري في الشريعة: ٥٧،٥٦ وابن بطة في الإبانة: ٥٠٧،٥٠٦،٥٠٣،٥٠٢/٢ برقم ٥٦٥،٥٦٦،٥٦٨،٥٦٩،٥٧٧-٥٨٠ وابن عبد البر في الجامع: ٩٣١/٢ برقم ١٧٧٠.

(١) هو أبو عمر الكندي حدَّث عن سعيد بن جبير وابن أبي ليلى، وحدَّث عنه الأوزاعي، توفي سنة١١٥هـ. انظر تذكرة الحفاظ: ١١٧/١.

(٢) هو أبو إياس معاوية بن هلال المزني، ثقة عالم، وهو أبو إياس الذكي قاضي البصرة، توفي سنة٢١٣هـ. انظر تقريب التهذيب: ٢٦١/٢ برقم ١٢٤٢.

(٣) هو قرة بن إياس بن رئاب المزني، لم يرو عنه غير ابنه معاوية، ويقال له قرة بن الأغر، قال البخاري وابن السكن: له صحبة. توفي سنة ٦٤هـ تقريبا. انظر الاستيعاب: ٢٤٢/٣ والإصابة: ٢٢٣/٣.

(٤) أخرجه الآجري في الشريعة: ٥٦ وابن بطة في الإبانة: ٥٢٢،٥٠٢،٥٠١/٢ برقم ٥٦٢-٥٦٤،٦٢١ واللالكائي في السنة: ١٥٤/١ برقم ٢٢١.

(٥) هو عبد الله بن زيد الجرمي البصري، روى عن سمرة بن جندب وأنس بن مالك رضي الله عنهما، توفي سنة١٠٤هـ. انظر تذكرة الحفاظ: ٩٤/١.

فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم، أو يلبسوا عليكم بعض ما تعرفون)[١] .

ودخل رجلان من أصحاب الأهواء على محمد بن سيرين فقالا: يا أبا بكر نحدثك بحديث . قال: لا . قالا: نقرأ عليك آية من كتاب الله . قال: لا . لتقومان أو لأقومن[٢] .

وكانوا يقولون[٣]: إن القلب ضعيف، وإنا نخاف إن استمعت منهم شيئا أن يميل قلبك إلى قولهم .

وقال إسحاق بن إبراهيم الحنظلي[٤]: (اعلموا أن اتباع الكتاب والسنة أسلم، والخوض في أمر الدين بالمنازعة والرد حرام، والاجتناب عنه سلامة .

وأرجو أن يجوز القياس على الأصل الثابت من العالم الفطن المتيقظ .

و لا تكاد تجد شيئا من تأويل الكتاب مخالفا لسنة النبي ﷺ إذا صحت الرواية .

---

(١) أخرجه الدارمي في سننه: ١٠٨/١ وابن وضاح في البدع: ٥٥ والآجري في الشريعة: ٥٦ وابن بطة في الإبانة: ٤٣٥/٢، ٤٣٧، ٥١٨ برقم ٣٦٢، ٣٦٤، ٣٦٧، ٣٦٩ وابن أبي زمنين في أصول السنة: ٣٠٣ برقم ٢٣٦ واللالكائي في السنة: ١٥١/١ برقم ٢٤٤ .

(٢) أخرجه الدارمي في سننه: ١٠٩/١ والآجري في الشريعة: ٥٧ وابن بطة في الإبانة: ٤٤٥/٢ برقم ٣٩٨ واللالكائي في السنة: ١٥٠/١ برقم ٢٤٢ .

(٣) نُقل قريب من ذلك عن ابن سيرين كما في البدع والنهي عنها لابن وضاح: ٦٠ والإبانة لابن بطة: ٤٤٦/٢ برقم ٣٩٩ .

(٤) هو أبو يعقوب التميمي الحنظلي المروزي، يعرف بابن راهويه، سمع من ابن المبارك وهو صبي، وروى عنه أحمد وابن معين، توفي سنة٢٣٨هـ . انظر تذكرة الحفاظ: ٤٣٣/٢ .

وعامة تاركي العلم والسنة وأصحاب الأهواء والرأي والمقاييس لثقل السنة عليهم .

و لا أعرف حديثين يخالف أحدهما الآخر[١]، ولكلٍّ ما رُوي من الأحاديث المختلفة معانٍ يعلمها أهل العلم بها) .

فهذا الذي نقلناه طريقة السلف و ما كانوا عليه[٢] .

---

(١) يؤيد ذلك قول الإمام الشافعي: (ولم نجد عنه حديثين مختلفين إلا ولهما مخرج أو على أحدهما دلالة بأحد ما وصفت: إما بموافقة كتاب أو غيره من سنته أو بعض الدلايل) الرسالة: ٢١٦، ٢١٧ .

(٢) يمكن بيان موقف السلف من المبتدعة على وجه الإجمال فيما يأتي:

١. الإرشاد والتعليم وإقامة الحجة .
٢. الهجران وترك الكلام والسلام .
٣. التغريب .
٤. السجن .
٥. ذكرهم بما هم عليه وإشاعة بدعتهم كي يحذروا ولئلا يغتر بكلامهم .
٦. القتال إذا ناصبوا المسلمين وخرجوا عليهم .
٧. القتل إذا لم يرجعوا مع الاستتابة إن أظهر بدعته .
٨. القتل بلا استتابة إن أسر بدعته وكانت كفرا أو ما يرجع إليه كالزنادقة .
٩. تكفير من دل الدليل على كفره كما إذا كانت البدعة صريحة في الكفر كالإباحية والقائلين بالحلول كالباطنية .
١٠. لا يرثهم ورثتهم من المسلمين ولا يرثون أحدا منهم ولا يغسلون إن ماتوا ولا يصلى عليهم ولا يدفنون في مقابر المسلمين ما لم يكن مستترا فإن المستتر يحكم له بحكم الظاهر .

«واعلم أن الأئمة الماضين وأولي العلم من المتقدمين لم يتركوا هذا النمط من الكلام، وهذا النوع من النظر عجزا عنه، ولا انقطاعا دونه، وقد كانوا ذوي عقول وافرة، وأفهام ثاقبة، وقد كانت هذه الفتن قد وقعت في زمانهم وظهرت، وإنما تركوا هذه الطريقة وأضربوا عنها لما تخوفوه من فتنتها وعلموه من سوء عاقبتها وسيء مغبتها .

وقد كانوا على بينة من أمورهم، وعلى بصيرة من دينهم؛ لما هداهم الله بنوره وشرح صدورهم بضياء معرفته فرأوا أن فيما عندهم من علم الكتاب وحكمته وتوقيف السنة وبيانها غناء ومندوحة مما سواها وأن الحجة قد وقعت وتمت بهما وأن العلة والشبهة قد أزيحت بمكانهما .

فلما تأخر الزمان بأهله وفترت عزائمهم في طلب حقائق علوم الكتاب والسنة وقلَّت عنايتهم بها واعترضهم الملحدون بشبههم والطاعنون في الدين

==

١١. الأمر بألا يناكحوا .

١٢. تجريحهم على الجملة فلا تقبل شهادتهم ولا روايتهم ولا يكونون ولاة ولا قضاة ولا ينصبون في مناصب العدالة من إمامة أو خطابة .

١٣. ترك عيادة مرضاهم .

١٤. ترك شهود جنائزهم .

١٥. الضرب .

انظر فيما يتعلق بموقف السلف من المبتدعة: الاعتصام: ١/١٧٥-١٧٧ وحقيقة البدعة وأحكامها: ١/١٨٤-١٨٥ وللاستزادة يراجع كتاب موقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع للدكتور إبراهيم الرحيلي .

بجدلهم؛ حسبوا أنهم إن لم يردوهم عن أنفسهم بهذا النمط من الكلام ودلائل العقل؛ لم يقووا عليهم ولم يظهروا في الحجاج عليهم .

فكان ذلك ضلة من الرأي وخدعة من الشيطان»[(١)] .

«فلو سلكوا سبيل القصد ووقفوا عندما انتهى بهم التوقيف لوجدوا برد اليقين وروح القلوب ولكثرت البركة وتضاعف النماء وانشرحت الصدور وأضاءت فيها مصابيح النور»[(٢)] .

وإنما وقعوا فيما وقعوا فيه عند أهل الحق بعد ما تدبروا وظهر لهم بتوفيق الله سبب ذلك .

«وهو أن الشيطان صار اليوم بلطيف حيلته يسول لكل من أحسَّ من نفسه زيادة فهم وفضل ذكاء وذهن يوهمه أنه إن رضي في عمله ومذهبه بظاهر من السنة واقتصر على واضح بيان منها؛ كان أسوة العامة وعُدَّ واحدا من الجمهور والكافة وأنه قد ضل فهمه واضمحل عقله وذهنه .

فحرَّكهم بذلك على التنطع في النظر والتبدع لمخالفة السنة والأثر؛ ليمتازوا بذلك عن طبقة الدهماء ويتبينوا في الرتبة عمن يرونهم دونهم في الفهم والذكاء .

---

(١) ما بين القوسين من كلام الإمام الخطابي في رسالته: "الغنية عن الكلام وأهله" مع اختلاف يسير في بعض الألفاظ . انظر درء التعارض: ٧/٢٨٦-٢٨٧ وصون المنطق والكلام: ٩٣-٩٤ .

(٢) ما بين القوسين من كلام الإمام الخطابي في رسالته: "الغنية عن الكلام وأهله" مع اختلاف يسير في بعض الألفاظ . انظر درء التعارض: ٧/٢٨٢-٢٨٣ وصون المنطق والكلام: ٩٣ .

فاختدعهم بهذه المقدمة حتى استزلهم عن واضح المحجة، وأورطهم في شبهات تعلقوا بزخارفها، وتاهوا عن حقائقها، و لم يخلصوا منها إلى شفاء نفس ولا قبلوه بيقين علم .

ولما رأوا كتاب الله ينطق بخلاف ما انتحلوه، ويشهد عليهم بباطل ما اعتقدوه؛ ضربوا بعض آياته ببعض، وتأولوها على ما يسنح لهم في عقولهم، واستوى عندهم على ما وضعوه من أصولهم .

ونصبوا العداوة لأخبار رسول الله ﷺ ولسنته المأثورة عنه، وردوها على وجوهها، وأساؤوا في نقلتها القالة، ووجهوا عليهم الظنون، ورموهم بالتزيد، ونسبوهم إلى ضعف المنة، وسوء المعرفة بمعاني ما يروونه من الحديث))[(١)] .

ولو أنهم أحسنوا الظن بسلفهم، وآثروا متابعتهم، وسلّموا حيث سلّموا، وطلبوا المعاني حيث طلبوا، واجتهدوا في ردِّ الهوى وخداع الشيطان؛ لانشرحت صدورهم، وظهر لهم برد اليقين وروح المعرفة وضياء التسليم، ما ظهر لسلفهم، وبرز لهم من أعلام الحق ما كان مكشوفا لهم .

غير أن الحق عزيز، والدين غريب، والزمان مفتن .

﴿ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور﴾ [النور:٤٠] .



---

(١) ما بين القوسين من كلام الإمام الخطابي في رسالته: "الغنية عن الكلام وأهله" مع اختلاف يسير في بعض الألفاظ . انظر درء التعارض: ٧/٢٨١-٢٨٢ وصون المنطق والكلام: ٩٣ .

[٥] سؤال من أهل الكلام

قالوا: ((إن قولكم: "**إن السلف من الصحابة والتابعين لم يشتغلوا بإيراد دلائل العقل، والرجوع إليه في علم الدين، وعدوا هذا النمط من الكلام بدعة**" فكما أنهم لم يشتغلوا بهذا؛ كذلك لم يشتغلوا بالاجتهاد في الفروع وطلب أحكام الحوادث، ولم يُرو عنهم شيء من هذه المقايسات والآراء والعلل التي وضعها الفقهاء فيما بينهم .

وإنما ظهر هذا بعد زمان أتباع التابعين، وقد استحسنه جميع الأمة، ودوَّنوه في كتبهم، فلا ينكر أن يكون علم الكلام على هذا الوجه .

وقد قال النبي ﷺ : ((ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وما رآه المسلمون قبيحاً فهو عند الله قبيح))(١) وهذا مما رآه المسلمون حسناً فهو مستحسن عند الله .

---

(١) أخرجه مرفوعا أحمد في المسند: ٣٧٩/١ والطيالسي في مسنده: ٣٣/١ والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد: ١٦٥/٤ وقال الألباني: " موضوع . . . لا أصل له مرفوعا وإنما ورد موقوفا على ابن مسعود" السلسلة الضعيفة للألباني: ١٧/٢ برقم ٥٣٣،٥٣٢ وأخرجه موقوفا على ابن مسعود ﷺ ابن عبد البر في الجامع: ٨٥٥/٢ برقم ١٦١٨ وقال ابن كثير: "هذا مأثور عن عبد الله بن مسعود بسند جيد" تحفة الطالب: ٤٥٥ برقم ٣٤٤ وانظر المعتبر للزركشي: ٢٣٤ برقم ٢٩٤ .

والبدعة على وجهين: بدعة قبيحة، وبدعة حسنة[١].

قال الحسن البصري: (القصص بدعة، ونعمت البدعة. كم من أخ يستفاد، ودعوة مجابة، وسُؤل مُعطى)[٢].

وعن بعضهم أنه سُئل عن الدعاء عند ختم القرآن[٣] ـ كما يفعله الناس اليوم ـ قال: (بدعة حسنة)[٤].

---

(١) ورد نحو ذلك عن الإمام الشافعي وهو قوله: (البدعة بدعتان: بدعة محمودة وبدعة مذمومة؛ فما وافق السنة فهو محمود، وما خالف السنة فهو مذموم) أخرجه أبو نعيم في الحلية: ١١٣/٩ . قال ابن رجب الحنبلي: (ومراد الشافعي رحمه الله ما ذكرناه من قبل: أن البدعة المذمومة ما ليس لها أصل من الشريعة يرجع إليه، وهي البدعة في إطلاق الشرع، وأما البدعة المحمودة فما وافق السنة، يعني: ما كان لها أصل من السنة يرجع إليه، وإنما هي بدعة لغة لا شرعا؛ لموافقتها السنة) . جامع العلوم والحكم: ١٣١/٢ وللاستزادة ينظر: اقتضاء الصراط المستقيم: ٥٨٣/٢-٥٨٨ والاعتصام للشاطبي: ١٤١/١-١٤٢ وحقيقة البدعة وأحكامها: ٢٨٢/١-٢٩٠ و كتاب اللمع في الرد على محسِّني البدع للشيخ عبد القيوم السحيباني .

(٢) أورده بدون جملة (وسؤل معطى) كلٌ من ابن الجوزي في تلبيس إبليس: ١٧ والسيوطي في الأمر بالاتباع: ٨٨ وكذلك أورده ابن رجب في جامع العلوم والحكم: ١٢٩/٢ إلا أنه أضاف جملة: (وحاجة مقضية) .

(٣) وردت آثار عن بعض السلف في فضل الدعاء عند ختم القرآن، منها: مارواه ابن أبي داود في كتاب المصاحف عن قتادة التابعي الجليل صاحب أنس ﷺ قال: (كان أنس بن مالك ﷺ إذا ختم القرآن جمع أهله ودعا) هذا الأثر صحح إسناده النووي في الأذكار: ٨٨ ورواه الدارمي في سننه: ٤٦٩/٢ وللاستزادة فيما يتعلق بما ورد عن السلف في الدعاء عند ختم القرآن انظر بالإضافة إلى المرجعين السابقين: المغني لابن قدامة: ٦٠٨/٢-٦١٠

==

وكيف لا يكون هذا النوع من العلم حسناً وهو يتضمن الرد على الملحدين والزنادقة والقائلين بقدم العالم، وكذلك أهل سائر الأهواء من هذه الأمة، ولولا النظر والاعتبار ما عُرف الحق من الباطل، والحسن من القبيح، وبهذا العلم انزاحت الشبهة عن قلوب أهل الزيغ، وثبت قدم اليقين للموحدين[١] .

==

والفتوحات الربانية لابن علان: ٢/٢٤٢-٢٤٨ ومرويات دعاء ختم القرآن للشيخ بكر أبو زيد .

(٤) قال ابن رجب: (وأما ما وقع في كلام السلف من استحسان بعض البدع فإنما ذلك في البدع اللغوية لا الشرعية، فمن ذلك قول عمر ﷺ لما جمع الناس في قيام رمضان على إمام واحد في المسجد، وخرج، ورآهم يصلون كذلك فقال: نعمت البدعة هذه) . جامع العلوم والحكم: ١/١٢٩ .

(١) الكلام والجدل الذي ذمَّه أئمة السلف ونهوا عن الخوض فيه نوعان:

أحدهما: الكلام المذموم في نفسه، وهو أن يكون الكلام باطلا وكذباً في نفسه، مثل: الكلام في الدين على غير طريقة المرسلين، والكلام المخالف للكتاب والسنة، والمخالف أيضاً للعقل، والاستدلال بالأدلة الفاسدة، والمقالات الباطلة المتضمنة لأمور فيها افتراء على الله وكتابه ورسوله ﷺ ودينه .

والثاني: الكلام المذموم لما فيه من المفسدة الغالبة، وإن كان الكلام في نفسه حقاً وصدقاً، فهذا لا يذم بالذات، وإنما يذم أحياناً لاشتماله على مضرة عارضة، مثل ما تحرم الغيبة والنميمة ونحو ذلك مما هو صدق لكن فيه ظلم للغير . **وهذا النوع يتناول:**

١. الكلام والجدل بالباطل، وإن قُصد به نصر الكتاب والسنة، فهذا مِن ردِّ الباطل بباطل مثله ومقابلة البدعة ببدعة أخرى، وهذا مما ذمَّه السلف والأئمة .

(وإذا منعتم أدلة العقول فما الذي تعتقدون في صحة أصول دينكم؟ ومن أي طريق تتوصلون إلى معرفة حقائقها؟

==

٢. والكلام بلا علم، فقد ذمَّ الله في كتابه من تكلم بلا علم، وذلك كالكلام فيما لا يدركه الإنسان بعقله .

٣. والكلام فيما لا يعني الإنسان ولا يفيده، وما لا فائدة فيه من باب العلم الذي لا ينفع، وقد استعاذ النبي ﷺ من علم لا ينفع .

٤. والكلام الحق لمن يعجز عن معرفته كما قال علي ﷺ : (حدِّثوا الناس بما يعرفون) .

٥. والكلام مع المبتدعة والمضلين، وذلك مثلما يوجد في كلام كثير من السلف من النهي عن مجالسة أهل البدع ومناظرتهم ومخاطبتهم والأمر بهجرانهم مخافة أن يضر ذلك بالمسلمين ويفسد عليهم دينهم .

٦. وقد يُنهى عن المجادلة والمناظرة مَن كان ضعيف العلم بالحجة وجواب الشبهة فيُخاف عليه أن يفسده ذلك المضل؛ كما يُنهى الضعيف في المقاتلة أن يُقاتل علجا قويا من الكفار، فإن ذلك يضره ويضر المسلمين بلا منفعة .

٧. وقد ينهى عن المجادلة والمناظرة إذا كان المناظر معاندا يَظهر له الحق فلا يقبله أو كانت المناظرة تتضمن أنَّ كل واحد من المتناظرين يكذب ببعض الحق أو تورث شبهات وأهواء، فلا تفيد علما ولا دينا، مثل أكثر الاختلاف الحاصل بين ذوي الأهواء .

قال ابن تيمية في درء التعارض: ١٧٤/٧: (والمقصود أنهم [يعني السلف] نهوا عن المناظرة من لا يقوم بواجبها، أو مع من لا يكون في مناظرته مصلحة راجحة، أو فيها مفسدة راجحة، فهذه أمور عارضة تختلف باختلاف الأحوال) .

انظر درء التعارض: ١٧٠/٧-١٧٤، ١٧٦، ١٧٧، ١٨٣، ١٨٤، ٣٢٩-٣٣١، ومجموع الفتاوى: ١٤٧/١٣ وشرح العقيدة الطحاوية: ٧٤، ٢٢٤ ولوامع الأنوار: ١١٠/١ .

وقد علم الكل أن الكتاب لم يعلم حقه، والنبي ﷺ لم يثبت صدقه إلا بأدلة العقول، وقد نفيتم ذلك)[١]، وإذا ذهب الدليل لم يبق المدلول أيضاً . وفي هذا الكلام هدم الدين ورفعه ونقضه، فلا يجوز الاشتغال بمسائله))[٢] .

الجواب والله الموفق للصواب:

أنا قد دلَّلنا فيما سبق بالكتاب الناطق من الله عز وجل، ومن قول النبي ﷺ ، ومن أقوال الصحابة ﷺ : أنّا أُمرنا بالاتباع ونُدبنا إليه، ونُهينا عن الابتداع وزُجرنا عنه .

وشعار أهل السنة: اتباعهم للسلف الصالح، وتركهم كل ما هو مبتدع محدث .وقد روينا عن سلفهم: أنهم نهوا عن هذا النوع من العلم، وهو علم الكلام، وزجروا عنه، وعدوا ذلك ذريعة للبدع والأهواء .

وحمل بعضهم قوله ﷺ : ((اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع))[٣] على هذا، وقوله ﷺ : ((إن من العلم لجهلا))[٤] .

فأما قولهم:"إن السلف من الصحابة والتابعين لم ينقل عنهم أنهم اشتغلوا بالاجتهاد في الفروع" **فالجواب من وجهين:**

---

(١) ما بين القوسين من كلام الإمام الخطابي في رسالته: "الغنية عن الكلا م وأهله" مع اختلاف يسير في بعض الألفاظ . انظر درء التعارض: ٢٩٢/٧-٢٩٣ وصون المنطق والكلام: ٩٤ .

(٢) ها هنا ينتهي سؤال أهل الكلام .

(٣) أخرجه مسلم: ٤١/١٧ .

(٤) أخرجه أبو داود في سننه: ٣٠٣/٤ برقم ٥٠١٢ .

أحدهما: أنه لم ينقل عنهم النهي عن ذلك والزجر عنه، بل من تدبر اختلاف الصحابة ﷺ في المسائل واحتجاجهم في ذلك؛ عرف أنهم كانوا يرون القياس والاجتهاد في الفروع .

وقد روى أهل الحديث والنقل عنهم: ذلك، واحتجاجَ بعضهم على بعض، وطلبَ الأشباه، وردَّ الفروع إلى الأصول .

وأما من كره ذلك فيحتمل أنه إنما كره ذلك إذا كان مع وجود النص من الكتاب والسنة على ما سبق بيانه(١) .

وأما الكلام في أمور الدين وما يرجع إلى الاعتقاد من طريق المعقول؛ فلم ينقل عن أحد منهم، بل عدوه من البدع والمحدثات، وزجروا عنه غاية الزجر، ونهوا عنه .

جواب آخر: أن الحوادث للناس والفتاوى في المعاملات ليس لها حصر ولا نهاية، وبالناس إليها حاجة عامة، فلو لم يجز الاجتهاد في الفروع، وطلب الأشبه بالنظر والاعتبار، وردُّ المسكوت عنه إلى المنصوص عليه بالأقيسة؛ لتعطلت الأحكام، وفسدت على الناس أمورهم، والتبس أمر المعاملات على الناس .

ولابد للعامي من مفتٍ، فإذا لم يجد حكم الحادثة في الكتاب والسنة فلابد من الرجوع إلى المستنبطات منهما، فوسَّع الله هذا الأمر على هذه الأمة وجوَّز الاجتهاد .

---

(١) انظر ص ١٢ .

وردُّ الفروع إلى الأصول لهذا النوع من الضرورة، ومثل هذا لايوجد في المعتقدات؛ لأنها محصورة محدودة، وقد وردت النصوص فيها من الكتاب والسنة؛ فإن الله تعالى أمر في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ باعتقاد أشياء معلومة، لا مزيد عليها ولا نقصان عنها، وقد أكملها بقوله: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ [المائدة: ٣] فإذا كان قد أكمله وأتمه، وهذا المُسْلم قد اعتقده وسكن إليه ووجد قرار القلب عليه؛ فبماذا يحتاج إلى الرجوع إلى دلائل العقل وقضاياه، والله أغناه عنه بفضله، وجعل له المندوحة عنه، ولِمَ يَدخل في أمر يَدخل عليه منه الشبهةُ والإشكالاتُ، ويوقعه في المهالك والورطات!

وهل زاغ مَن زاغ، وهلك مَن هلك، وألحد مَن ألحد إلا بالرجوع إلى الخواطر والمعقولات، واتباع الآراء في قديم الدهر وحديثه؟

وهل نجا مَن نجا إلا باتباع سنن المرسلين، والأئمة الهادية من الأسلاف المتقدمين؟

وإذا كان هذا النوع من العلم لطلب زيادة في الدين؛ فهل تكون الزيادة بعد الكمال إلا نقصاناً عائداً على الكمال؛ مثل زيادة الأعضاء والأصابع في اليدين والرجلين؟

فليتق امرؤ ربَّه عز وجل، ولا يُدخلنَّ في دينه ما ليس منه، وليتمسك بآثار السلف والأئمة المرضية، وليكونن على هديهم وطريقهم، وليعَض عليها بنواجذه، ولا يُوقعن نفسه في مهلكة يضل فيها الدين، ويشتبه عليه الحق، والله حسيب أئمة الضلال الداعين إلى النار، ويوم القيامة لا ينصرون .



[٦- حجيّة خبر الواحد[١]]

فصل

ونشتغل الآن بالجواب عن قولهم فيما سبق: **(إن أخبار الآحاد لا تقبل فيما طريقه العلم)** وهذا رأس شغب المبتدعة في ردِّ الأخبار، وطلب الدليل من النظر والاعتبار .

فنقول وبالله التوفيق: إن الخبر إذا صح عن رسول الله ﷺ ورواه الثقات والأئمة، وأسنده خلفهم عن سلفهم إلى رسول الله ﷺ وتلقته الأمة بالقبول؛ فإنه يوجب العلم فيما سبيله العلم .

هذا قول عامة أهل الحديث والمتقنين من القائمين على السنة[٢] .

---

(١) للاستزادة في حجية خبر الواحد في العقيدة على وجه الخصوص ينظر: كتاب وجوب الأخذ بحديث الآحاد في العقيدة والرد على شبه المخالفين للألباني وأصل الاعتقاد للأشقر وأخبار الآحاد لابن جبرين والأدلة والشواهد على وجوب العمل بخبر الواحد في الأحكام والعقائد لسليم الهلالي وحجية أحاديث الآحاد في الأحكام والعقائد للأمين الحاج محمد أحمد وخبر الواحد في العقيدة والرد على شبهات المخالفين للوهيبي .

(٢) انظر الرسالة: ٤٥٧، ٤٥٨ والفقيه والمتفقه: ٩٧، ٩٨ والكفاية في علم الرواية: ٤٨ وروضة الناظر: ٢٦٨/١ ومجموع الفتاوى: ٣٤٠/١١، ٣٤١ ومختصر الصواعق: ٥٠٩ وشرح الكوكب المنير: ٣٦١/٢-٣٦٨ .

وإنما هذا القول الذي يذكر أن خبر الواحد لا يفيد العلم بحال، ولابد من نقله بطريق التواتر لوقوع العلم به، شيء اخترعته القدرية والمعتزلة، وكان قصدهم منه ردَّ الأخبار، وتلقفه منهم بعض الفقهاء الذين لم يكن لهم في العلم قدم ثابت، ولم يقفوا على مقصودهم من هذا القول .

ولو أنصفت الفرق من الأمة لأقروا بأن خبر الواحد يوجب العلم؛ فإنك تراهم مع اختلافهم في طرائقهم وعقائدهم يستدل كل فريق منهم على صحة ما يذهب إليه بالخبر الواحد:

ترى أصحاب القدر يستدلون بقول النبي ﷺ : ((كل مولود يولد على الفطرة))[(١)] وبقوله ﷺ : ((خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم[(٢)] الشياطين عن دينهم))[(٣)] .

وترى أهل الإرجاء يستدلون بقوله ﷺ : ((من قال لا إله إلا الله دخل الجنة)) قالوا: وإن زنى وإن سرق! قال: ((نعم وإن زنى وإن سرق))[(٤)] .

---

(١) أخرجه البخاري: ٢١٩/٣ برقم ١٣٥٨،١٣٥٩ ومسلم: ٢٠٧/١٦ .

(٢) قال ابن الأثير: ("فاجتالتهم الشياطين" أي استخفتهم فجالوا معهم في الضلال . يقال: جال واجتال إذا ذهب وجاء، ومنه الجولان في الحرب، واجتال الشيء إذا ذهب به وساقه) . النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣١٧/١ .

(٣) أخرجه مسلم: ١٩٦/١٧ ولفظه: "وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم" .

(٤) أخرجه مسلم: ٩٤/٢ .

وترى الرافضة يستدلون بقوله ﷺ : ((يجاء بقوم من أصحابي فيسلك بهم ذات الشمال، فأقول: أصيحابي أصيحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك؛ إنهم لن يزالوا مرتدين على أعقابهم))(١) .

وترى الخوارج يستدلون بقوله ﷺ : ((سباب المسلم فسوق وقتاله كفر))(٢) وبقوله ﷺ : ((لايزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن))(٣) .

إلى غير هذا من الأحاديث التي يستدل بها أهل الفرق(٤) .

ومشهور معلوم استدلال أهل السنة بالأحاديث، ورجوعهم إليها، فهذا إجماع منهم على القول بأخبار الآحاد .

وكذلك أجمع أهل الإسلام متقدموهم ومتأخروهم على رواية الأحاديث في صفات الله عز وجل، وفي مسائل القدر، والرؤية، وأصل الإيمان، والشفاعة، والحوض، وإخراج الموحِّدين المذنبين من النار، وفي صفة الجنة والنار، وفي الترغيب والترهيب، والوعد والوعيد، وفي فضائل النبي ﷺ ، ومناقب أصحابه، وأخبار الأنبياء المتقدمين عليه، وكذلك أخبار الرقائق، والعظات، وما أشبه ذلك مما يكثر عدُّه وذكره(٥) .

---

(١) أخرجه البخاري: ٢٨٦/٨ برقم ٤٦٢٥ .

(٢) أخرجه مسلم: ٥٤/٢ .

(٣) أخرجه البخاري: ١١٩/٥ برقم ٢٤٧٥ ومسلم: ٤١/٢ .

(٤) انظر في هذه الاستدلالات ونحوها تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة: ٥-١٢ .

(٥) أجمع السلف على وجوب العمل بأخبار الآحاد في أبواب العقيدة . انظر جامع بيان العلم

وهذه الأشياء كلها علمية لا عملية، وإنما تروى لوقوع علم السامع بها، فإذا قلنا: "إن خبر الواحد بها لا يجوز أن يوجب العلم"؛ حملنا أمر الأمة في نقل هذه الأخبار على الخطأ، وجعلناهم لاغين، هاذّين، مشتغلين بما لا يفيد أحداً شيئاً، ولا ينفعه، ويصير كأنهم قد دوَّنوا في أمور الدين ما لا يجوز الرجوع إليه والاعتماد عليه .

وربما يترقّى هذا القول إلى أعظم من هذا؛ فإن النبي ﷺ أدَّى هذا الدين إلى الواحد فالواحد من أصحابه؛ ليؤدوه إلى الأمة وينقلوا عنه، فإذا لم يُقبل قول الراوي لأنه واحد رجع هذا العيب إلى المُؤَدِّي . نعوذ بالله من هذا القول الشنيع، والاعتقاد القبيح .

ويدل عليه: أن الأمر مشتهر في أن النبي ﷺ بعث الرسل إلى الملوك: إلى كسرى(١)، وقيصر(٢)، وملك الإسكندرية(٣)، وإلى أكيدر دومة(٤)، وغيرهم من ملوك الأطراف، وكتب إليهم كتباً على ما عُرف ونُقل واشتُهر .

==

وفضله: ٩٤٣/٢ ومختصر الصواعق: ٥٠٢،٥٠٩ وشرح الكوكب المنير: ٣٥٢/٢ ولوامع الأنوار: ١٩/١ ومذكرة الشنقيطي: ١٠٤ .

(١) انظر ذلك في صحيح البخاري: ١٠٨/٦، برقم ٢٩٣٩ .

(٢) انظر ذلك في صحيح البخاري: ١٠٧/٦،١٠٩ برقم ٢٩٣٦،٢٩٤٠ .

(٣) انظر ذلك في السيرة النبوية لابن هشام: ٦٠٧/٤ والوفا بأحوال المصطفى: ٧٣٥ وزا د المعاد: ٦٩١/٣ .

(٤) انظر ذلك في مسند أحمد: ١٣٣/٣ .

وإنما بَعث واحداً واحداً ودعاهم إلى الله تعالى وإلى التصديق برسالته لإلزام الحجة وقطع العذر لقوله عز وجل: ﴿رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾ [النساء:١٦٥] وهذه المعاني لا تحصل إلا بعد وقوع العلم لمن أُرسل إليه بالإرسال، والمُرْسَل، وأنَّ الكتاب من قِبله، والدعوة منه(١) .

وقد كان نبينا ﷺ بُعث إلى الناس كافة، وكثير من الأنبياء بُعثوا إلى قوم دون قوم، وإنما قَصد بإرسال الرسلِ إلى هؤلاء الملوك والكتابِ إليهم بثَّ الدعوة في جميع الممالك، ودعاءَ الناس عامةً إلى دينه على حسب ما أمره الله تعالى بذلك، فلو لم يقع العلم بخبر الواحد في أمور الدين لم يقتصر ﷺ على إرسال الواحد من أصحابه في هذا الأمر .

وكذلك في أمور كثيرة اكتفى ﷺ بإرسال الواحد من أصحابه . منها:

أنه ﷺ بعث عليا ﷺ لينادي في موسم الحج بمنى: ((ألا لا يحجن بعد العام مشرك، ولا يطوفن بالبيت عريان، ومن كان بينه وبين النبي ﷺ عهد فمدته إلى أربعة أشهر، ولا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة))(٢) ولابد في هذه الأشياء من وقوع العلم للقوم الذين كان يناديهم حتى إن أقدموا على شيء

---

(١) بوَّب لذلك الإمام البخاري في صحيحه: ٢٤١/١٣ فقال: "باب ما كان يبعث ﷺ من الأمراء والرسل واحدا بعد واحد . . ." .

(٢) أخرجه بلفظ قريب منه الترمذي: ٢٢٢/٣ برقم ٨٧١ وحسَّنه، وصححه الألباني . انظر إرواء الغليل: ٣٠١/٤ برقم ١١٠١ .

من هذا بعد سماع هذا القول؛ كان رسول الله ﷺ مبسوط العذر في قتالهم وقتلهم .

وكذلك بعث معاذاً ﷺ إلى اليمن ليدعوهم إلى الإسلام، ويعلمهم إذا أجابوا شرائعه(١) .

وبعث إلى أهل خيبر في أمر القتيل واحداً يقول لهم: إما أن تدوا أو تؤذنوا بحرب من الله ورسوله(٢) .

وبعث إلى قريظة أبا لبابة بن عبد المنذر(٣)يستنزلهم على حكمه(٤)

وجاء أهلَ قباء واحد، وهم في مسجدهم يصلون، فأخبرهم بصرف القبلة إلى المسجد الحرام؛ فانصرفوا إليه في صلاتهم(٥)، واكتفوا بقوله، ولابد في مثل هذا من وقوع العلم به .

---

(١) أخرجه البخاري: ٣٤٧/١٣ برقم ٧٣٧٢،٧٣٧١ ومسلم: ١٩٥/١-٢٠٠ .

(٢) أخرجه البخاري: ١٤٠/١٣ (باب الشهادة على الخط المختوم)،١٨٤ برقم ٧١٩٢ .

(٣) قيل اسمه بشير وقيل رفاعة الأوسي الأنصاري، يقال إنه كان أحد النقباء ليلة العقبة ومات بعد مقتل عثمان ﷺ . انظر الاستيعاب: ١٦٧/٤ والإصابة: ١٦٧/٤ .

(٤) المروي في ذلك أن الرسول ﷺ بعث أبا لبابة ﷺ إلى بني قريظة ليستشيروه في نزولهم على حكم الرسول ﷺ فقال لهم: نعم وأشار بيده إلى حلقه أنه الذبح . .الخ ثم إنه ﷺ استنزل بني قريظة على حكم سعد بن معاذ ﷺ . انظر جامع البيان للطبري: ٢٢١/٦ وزاد المعاد: ١٣٣/٣-١٣٥ والبداية والنهاية: ١٢٠/٤-١٢٧ والدر المنثور: ١٧٨/٣ .

(٥) انظر في ذلك حديث ابن عمر رضي الله عنهما الذي أخرجه مسلم: ١٠/٥ .

وكان النبي ﷺ يرسل الطلائع والجواسيس في ديار الكفر، ويقتصر على الواحد في ذلك ويقبل قوله إذا رجع، وربما أقدم عليهم بالقتل والنهب بقوله وحده.

ومن تدبر أمور النبي ﷺ وسيرته لم يخف عليه ما ذكرنا، وما يردُّ هذا إلا معاند مكابر(١).

ولو أنك وضعت في قلبك أنك سمعت الصديق أو الفاروق أو غيرهما من وجوه الصحابة ﷺ يروي لك حديثاً عن النبي ﷺ في أمر من الاعتقاد، مثل: جواز الرؤية على الله تعالى، أو إثبات القدر، أو غير ذلك؛ لوجدت قلبك مطمئنا إلى قوله، لا يتداخلك شك في صدقه وثبوت قوله.

وفي زماننا هذا؛ ترى الرجل يسمع من أستاذه ـ الذي يختلف إليه ويعتقد فيه التقدمة والصدق ـ أنه سمع أستاذه يخبر عن شيء من عقيدته التي يريد أن يلقى الله تعالى بها، ويرى نجاته فيها؛ فيحصل للسامع علم بمذهب من نقل عنه أستاذه ذلك، بحيث لا يختلجه شبهة، ولا يعتريه شك.

---

(١) قال الشافعي: "ولم يكن رسول الله ليبعث إلا واحدا الحجة قائمة بخبره على من بعثه إن شاء الله، وقد فرّق النبي عمّالا على نواحي، عرفنا أسماءهم والمواضع التي فرّقهم عليها: فبعث قيس بن عاصم، والزبرقان بن بدر، وابن نويرة إلى عشائرهم بعلمهم بصدقهم عندهم . . . ولم يكن لأحد عندنا في أحد ممن قدم عليه من أهل الصدق أن يقول: أنت واحد وليس لك أن تأخذ منا ما لم نسمع رسول الله يذكر أنه علينا". الرسالة: ٤١٥-٤١٧. وانظر تحفة الطالب لابن كثير: ١٩٧-١٩٩.

وكذلك في كثير من الأخبار التي قضيَّتُها العلم، توجد بين الناس، فيحصل لهم العلم بذلك الخبر، ومن رجع إلى نفسه عَلِم ذلك .

واعلم أن الخبر وإن كان يحتمل الصدق والكذب، وللظن والتجوُّز فيه مدخل، لكن هذا الذي قلناه لا يناله أحد إلا بعد أن يكون معظم أوقاته وأيامه مشتغلا بعلم الحديث، والبحث عن سيرة النقلة والرواة؛ ليقف على رسوخهم في هذا العلم، وكنه معرفتهم به، وصدق ورعهم في أحوالهم وأقوالهم، وشدة حذرهم من الطغيان والزلل، وما بذلوه من شدة العناية في تمهيد هذا الأمر، والبحث عن أحوال الرواة، والوقوف على صحيح الأخبار وسقيمها .

ولقد كانوا ـ رحمهم الله وأنزل رضوانه عليهم ـ بحيث لو قُتلوا لم يسامحوا أحدا في كلمة يتقولها على رسول الله ﷺ ، ولا فعلوا هم بأنفسهم ذلك، وقد نقلوا هذا الدين إلينا كما نُقل إليهم، وأدوا على ما أُدِّي عليهم، وكانوا في صدق العناية والاهتمام بهذا الشأن بما يجل عن الوصف ويقصر دونه الذكر .

وإذا وقف المرء على هذا مِنْ شأنهم، وعرف حالهم، وخبُرَ صدقهم وورعهم وأمانتهم؛ ظهر له العلم فيما نقلوه ورووه، ولم يحتج إلى شيء من هذا الذي قلناه . والله ولي التوفيق والمعونة .



[٧- من علامات الفرقة الناجية: اتفاقهم في أصول الدين ومسائل الاعتقاد[١]]

والذي يزيد ما قلناه إيضاحا: أن النبي ﷺ حين سئل عن الفرقة الناجية قال: ((ما أنا عليه وأصحابي))[٢] بمعنى: من كان على ما أنا عليه وأصحابي . فلابد من تعرُّف ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، وليس طريق معرفته إلا النقل؛ فيجب الرجوع إلى ذلك .

---

(١) للاستزادة في علامات أهل السنة ينظر: تأويل مختلف الحديث: ١٤، ١٥، ٥١-٥٩ وشرف أصحاب الحديث: ٨-١٠ ومختصر الصواعق: ٥٠٠-٥٠١ وموقف ابن تيمية من الأشاعرة: ١/٧١-٧٨ وأهل السنة والجماعة "معالم الانطلاقة الكبرى": ٧١-٧٨ ومفهوم أهل السنة والجماعة للدكتور ناصر العقل: ٨٠-٨٧ وكتاب وسطية أهل السنة بين الفرق للدكتور محمد باكريم وكتاب صفة الغرباء للشيخ سلمان العودة .

(٢) أخرجه بهذا اللفظ الترمذي: ٥/٢٦ برقم ٢٦٤١ وهذا الحديث مشهور وله ألفاظ متعددة، منها: ما رواه أبوداود: ٤/١٩٧،١٩٨ برقم ٤٥٩٦،٤٥٩٧ وابن ماجه: ٢/١٣٢١،١٣٢٢ برقم ٣٩٩١،٣٩٩٢،٣٩٩٣ والترمذي أيضاً: ٥/٢٥ برقم ٢٦٤٠ والحديث صححه ابن تيمية، انظر مجموع الفتاوى: ٣/٣٤٥ والألباني، انظر السلسلة الصحيحة: ١/٢٥٦ وما بعدها برقم ٢٠٣،٢٠٤ و٣/٤٨٠ برقم ١٤٩٢ .

وقد قال النبي ﷺ: ((لا تنازعوا الأمـر أهلـه))(١) فكما يرجع في معرفة مذاهب الفقهاء الذين صاروا قدوة في هذه الأمة إلى أهل الفقه، ويرجع في معرفة اللغة إلى أهل اللغة، ويرجع في معرفة النحو إلى أهل النحو؛ فكذلك يجب أن يرجع في معرفة ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه إلى أهل النقل والرواية؛ لأنهم عنوا بهذا الشأن، واشتغلوا بحفظه والتفحص عنه ونقله، ولولاهم لاندرس علم النبي ﷺ ولم يقف أحد على سنته وطريقته .

فإن قال قائل: إن أهل الفقه مجمعون على قول الفقهاء وطريق كل واحد منهم في الفروع، وأهل النحو مجمعون على طريق البصريين والكوفيين في النحو، وكذلك أهل الكلام مجمعون على طريق كل واحد منهم من متقدميهم وسلفهم . فأما ما يرجع إلى العقائد فلم يجتمع أهل الإسلام على ما كان رسول الله ﷺ عليه وأصحابه؛ بل كل فريق يدَّعي دينه، وينتسب إلى ملته، ويقول: نحن الذين تمسكنا بملة رسول الله ﷺ واتبعنا طريقته، ومن كان على غير ما نحن عليه فهو مبتدع صاحب هوى؛ فلم يجز اعتبار هذا الذي تنازعنا فيه بما قلتم .

الجواب: أن كل فريق من المبتدعة إنما يدَّعي أن الذي يعتقده هو ما كان عليه رسول الله ﷺ ؛ لأنهم كلهم يدَّعون شريعة الإسلام، ملتزمون في

---

(١) أخرجه البخاري: ١٣/٥، ١٩٢ برقم ٧٠٥٦، ٧٢٠٠ ولفظه من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: "بايعنارسول الله ﷺ على السمع والطاعة في المنشط والمكره وألاّ ننازع الأمر أهله . . ." .

شعائرها، يرون أن ما جاء به محمد ﷺ هو الحق، غير أن الطرق تفرقت بهم بعد ذلك، وأحدثوا في الدين ما لم يأذن به الله ورسوله، فزعم كل فريق أنه هو المتمسك بشريعة الإسلام، وأن الحق الذي قام به رسول الله ﷺ هو الذي يعتقده وينتحله .

غير أن الله تعالى أبى أن يكون الحق والعقيدة الصحيحة إلا مع أهل الحديث والآثار؛ لأنهم أخذوا دينهم وعقائدهم خلفا عن سلف، وقرنا عن قرن، إلى أن انتهوا إلى التابعين، وأخذه التابعون عن أصحاب رسول الله ﷺ، وأخذه أصحاب رسول الله ﷺ عن رسول الله ﷺ . ولا طريق إلى معرفة ما دعا إليه رسول الله ﷺ الناس من الدين المستقيم والصراط القويم إلا هذا الطريق الذي سلكه أصحاب الحديث .

وأما سائر الفرق فطلبوا الدين لا بطريقه، لأنهم رجعوا إلى معقولهم وخواطرهم وآرائهم، فطلبوا الدين من قِبله؛ فإذا سمعوا شيئاً من الكتاب والسنة عرضوه على معيار عقولهم فإن استقام قبلوه، وإن لم يستقم في ميزان عقولهم ردّوه، فإن اضطروا إلى قبوله حرّفوه بالتأويلات البعيدة والمعاني المستنكرة، فحادوا عن الحق، وزاغوا عنه، ونبذوا الدين وراء ظهورهم، وجعلوا السنة تحت أقدامهم . تعالى الله عما يصفون .

وأما أهل الحق فجعلوا الكتاب والسنة إمامهم، وطلبوا الدين من قِبلهما، وما وقع لهم من معقولهم وخواطرهم عرضوه على الكتاب والسنة، فإن وجدوه موافقا لهما قبلوه، وشكروا الله عز وجل حيث أراهم ذلك ووقفهم عليه، وإن وجدوه مخالفاً لهما تركوا ما وقع لهم وأقبلوا على الكتاب والسنة

ورجعوا بالتهمة على أنفسهم؛ فإن الكتاب والسنة لا يهديان إلا إلى الحق، ورأي الإنسان قد يُري الحق، وقد يُري الباطل .

وهذا معنى قول أبي سليمان الداراني[١]، وهو واحد زمانه في المعرفة: (ما حدثتني نفسي بشيء إلا طلبتُ منها شاهدين من الكتاب والسنة، فإن أتى بهما وإلا رددته في نحره) أو كلام هذا معناه[٢] .

ومما يدل على أن أهل الحديث هم على الحق:

أنك لو طالعت جميع كتبهم المصنفة من أولهم إلى آخرهم، قديمهم وحديثهم، مع اختلاف بلدانهم وزمانهم، وتباعد ما بينهم في الديار، وسكون كل واحد منهم قطراً من الأقطار؛ وجدتهم في بيان الاعتقاد على وتيرة واحدة ونمط واحد، يجرون فيه على طريقة لا يحيدون عنها ولا يميلون فيها، قولهم في ذلك واحد، وفعلهم واحد، لا ترى بينهم اختلافاً ولا تفرقاً في شيء ما وإن قلَّ .

بل لو جمعتَ جميع ما جرى على ألسنتهم ونقلوه عن سلفهم؛ وجدتَه كأنه جاء من قلب واحد، وجرى على لسان واحد، وهل على الحق دليل أبين من هذا[٣]؟

---

(١) هو عبد الرحمن بن أحمد وقيل ابن عطية العنسي، الداراني الزاهد المشهور، توفي سنة ٢٠٥هـ . والداراني: نسبة إلى داريا وهي قرية من غوطة دمشق . انظر اللباب: ٤٠٣/٢ ووفيات الأعيان: ١٣١/٣ والسير: ١٨٢/١٠ .

(٢) انظر السير: ١٨٣/١٠ .

(٣) انظر نحو ذلك في تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة: ١٤-١٥ .

قال الله تعالى: ﴿أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا﴾ [النساء:٨٢] وقال تعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا﴾ [آل عمران:١٠٣] .

وأما إذا نظرت إلى أهل الأهواء والبدع رأيتهم متفرقين، مختلفين، وشيعا وأحزابا، لا تكاد تجد اثنين منهم على طريقة واحدة في الاعتقاد، يبدع بعضهم بعضا، بل يرتقون إلى التكفير: يكفر الابن أباه، والرجل أخاه، والجار جاره(١) .

تراهم أبدا في تنازع وتباغض واختلاف، تنقضي أعمارهم ولما تتفق كلماتهم ﴿تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون﴾ [الحشر:١٤] .

أو ما سمعت أن المعتزلة مع اجتماعهم في هذا اللقب يكفر البغداديون منهم البصريين، والبصريون منهم البغداديين، ويكفر أصحاب أبي علي الجبائي(٢) ابنه أبا هاشم، وأصحاب أبي هاشم(٣) يكفرون أباه أبا علي(٤)،

---

(١) انظر نحو ذلك في الإبانة: ٥٥٤/٢-٥٥٦ .

(٢) أصحاب أبي علي الجبائي: فرقة من المعتزلة يسمون الجبائية، وأبوعلي هو محمد بن عبد الوهاب بن سلام أحد أئمة المعتزلة، وعنه أخذ الشيخ أبو الحسن الأشعري علم الكلام، توفي سنة ٣٠٣هـ . والجُبَائي: نسبة إلى جُبّى قرية من قرى البصرة . انظر المنية والأمل: ١٧٦، ٦٧ ووفيات الأعيان: ٢٦٧/٤ برقم ٦٠٧ .

(٣) أصحاب أبي هاشم الجبائي: فرقة من المعتزلة يسمون البهشمية، وأبو هاشم هو عبد السلام

==

وكذلك سائر رؤوسهم وأرباب المقالات منهم؛ إذا تدبرت أقوالهم رأيتهم متفرقين يكفر بعضهم بعضا ويتبرأ بعضهم من بعض .

وكذلك الخوارج والروافض فيما بينهم وسائر المبتدعة بمثابتهم .

وهل على الباطل دليل أظهر من هذا، قال تعالى: ﴿إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء إنما أمرهم إلى الله﴾ [الأنعام:١٥٩] .

وكان السبب في اتفاق أهل الحديث أنهم أخذوا الدين من الكتاب والسنة وطريق النقل فأورثهم الاتفاق والائتلاف، وأهل البدعة أخذوا الدين من المعقولات والآراء؛ فأورثهم الافتراق والاختلاف؛ فإن النقل والرواية من الثقات والمتقنين قلما يختلف وإن اختلف في لفظ أو كلمة فذلك اختلاف لا يضر الدين ولا يقدح فيه . وأما دلائل العقل فقلّما تتفق، بل عقل كل واحد يُري صاحبه غير ما يُري الآخر(١)، وهذا بيِّن والحمد لله .

==

ابن أبي علي الجبائي، كان هو وأبوه من كبار المعتزلة، توفي سنة ٣٢١هـ . انظر المنية والأمل: ١٧٦، ٧٩ ووفيات الأعيان: ١٨٣/٣ برقم ٣٨٣ .

(٤) افترقت المعتزلة عشرين فرقة، كل فرقة منها تكفر سائرها . انظر الفرق بين الفرق: ٢٤، ١١٤ .

(١) قال ابن قتيبة: (وقد كان يجب مع ما يدعونه [يعني أهل الكلام] من معرفة القياس وإعداد آلات النظر ألاّ يختلفوا، كما لا يختلف الحُسّاب والمُسّاح والمهندسون لأن آلتهم لا تدل إلا على عدد واحد، وإلا على شكل واحد، وكما لا يختلف حُذّاق الأطباء في الماء وفي نبض العروق؛ لأن الأوائل قد وقفوهم من ذلك على أمر واحد، فما بالهم أكثر الناس اختلافا لا يجتمع اثنان من رؤسائهم على أمر واحد في الدين!) . تأويل مختلف الحديث: ١٣ .

وبهذا يظهر مفارقة الاختلاف في مذاهب الفروع اختلاف العقائد في الأصول؛ فإنا وجدنا أصحاب رسول الله ﷺ و﷢ من بعده اختلفوا في أحكام الدين فلم يفترقوا، ولم يصيروا شيعاً؛ لأنهم لم يفارقوا الدين، ونظروا فيما أُذن لهم، فاختلفت أقوالهم وآراؤهم في مسائل كثيرة، مثل مسألة الجد، والمُشرَّكة، وذوي الأرحام، ومسألة الحرام[1]، وفي أمهات الأولاد، وغير ذلك مما يكثر تعداده من مسائل البيوع والنكاح والطلاق، وكذلك في مسائل كثيرة من باب الطهارة وهيئات الصلاة وسائر العبادات، فصاروا باختلافهم في هذه الأشياء محمودين .

وكان هذا النوع من الاختلاف رحمة من الله لهذه الأمة حيث أيدهم باليقين، ثم وسَّع على العلماء النظر فيما لم يجدوا حكمه في التنزيل والسنة .

فكانوا مع هذا الاختلاف أهل مودة ونصح، وبقيت بينهم أخوة الإسلام ولم ينقطع عنهم نظام الألفة . فلما حدثت هذه الأهواء المردية الداعية صاحبها إلى النار ظهرت العداوة، وتباينوا، وصاروا أحزابا، فانقطعت الأخوة في الدين وسقطت الألفة .

---

(١) المراد بمسألة الحرام: قول الرجل لزوجته: "أنت عليَّ حرام" وقد أشار المؤلف رحمه الله تعالى إلى بعض الأقوال والأدلة الواردة في هذه المسألة، وذلك في كتابه "قواطع الأدلة": ق: ب/١٩٣، أ/١٩٤-ب/١٩٤ وللاستزادة يراجع إعلام الموقعين: ٣/٦٥-٧٣ .

فهذا يدل على أن هذا التباين والفرقة إنما حدثت من المسائل المحدثة التي ابتدعها الشيطان فألقاها على أفواه أوليائه؛ ليختلفوا ويرمي بعضهم بعضا بالكفر .

فكل مسألة حدثت في الإسلام، فخاض فيها الناس، فتفرقوا واختلفوا، فلم يورث ذلك الاختلاف بينهم عداوة ولا بغضاً ولا تفرقاً، وبقيت بينهم الألفة والنصيحة والمودة والرحمة والشفقة؛ علمنا أن ذلك من مسائل الإسلام: يحل النظر فيها، والأخذ بقول من تلك الأقوال، لا يوجب تبديعا ولا تكفيراً، كما ظهر مثل هذا الاختلاف بين الصحابة والتابعين مع بقاء الألفة والمودة .

وكل مسألة حدثت، فاختلفوا فيها، فأورث اختلافهم في ذلك التولّي والإعراض والتدابر والتقاطع، وربما ارتقى إلى التكفير؛ علمت أن ذلك ليس من أمر الدين في شيء، بل يجب على كل ذي عقل أن يجتنبها، ويعرض عن الخوض فيها؛ لأن الله شرط في تمسكنا بالإسلام أنّا نصبح في ذلك إخوانا، فقال تعالى: ﴿واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا﴾ [آل عمران:١٠٣](١) .

فإن قال قائل: إن الخوض في مسائل القدر، والصفات، وشرط الإيمان يورث التقاطع والتدابر والاختلاف، فيجب طرحها والإعراض عنها ـ على ما زعمتم ـ

---

(١) انظر نحو ذلك في الإبانة: ٥٥٧/٢-٥٦٧ .

الجواب: إنما قلنا هذا في المسائل المحدثة، فأما الإيمان في هذه المسائل [فهو] من شرط أصل الدين، ولابد من قبوله على نحو ما ثبت فيه النقل عن رسول الله ﷺ وأصحابه .

ولا يجوز لنا الإعراض عن نقلها وروايتها وبيانها لتفرُّق الناس في ذلك، كما في أصل الإسلام والدعاء إلى التوحيد وإظهار الشهادتين .

وقد ظهر بما قدمنا وذكرنا ـ بحمد الله ومنّه ـ أن الطريق المستقيم مع أهل الحديث، وأن الحق ما نقلوه ورووه .

ومن تدبر ما كتبناه وأعطى من قلبه النَّصَفَة(١)، وأعرض عن هواه، واستمع وأصغى بقلب حاضر، وكان مسترشداً مستهدياً، ولم يكن متعنتا، وأمده الله بنور اليقين؛ عرف صحة جميع ما قلناه، ولم يخف عليه شيء من ذلك . والله الموفق ﴿من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم﴾ [الأنعام:٣٩] .

وقد أجاب بعض أهل السنة عن قولهم: (إن الخبر الواحد لا يوجب العلم) بجواب آخر سوى ما قلناه، وقد بيَّناه في كتاب "القدر"(٢) وإن كان الجواب الصحيح ما ذكرناه، وهو طريق أهل الحق، ولا معدل بنا عن طريقهم، بل لا نختار عليه شيئا غيره، ولا نطلب طريقا سواه .

---

(١) النَّصَفَة: العدل والقسط . انظر المصباح المنير: ٦٠٨ .

(٢) سبق الكلام على هذا الكتاب في القسم الدراسي . انظر ص ١٩ .

نسأل الله تعالى أن يثبتنا عليه، وأن يمدنا بتوفيق بعد توفيق، من قِبَله، وأن يجعل ما قصدناه من بيان الحق لوجهه، وسعْينا لطلب ما عنده، إنه عليم قدير، وولي كريم .

□□□ □□□ □□□

[٨ـ من علامات الفرقة الناجية:
اشتغالهم بالحديث نقلا وعملا]

فإن قال قائل: إنكم سميتم أنفسكم أهل السنة، وما نراكم في ذلك إلا مدَّعين؛ لأنا وجدنا كل فرقة من الفرق تنتحل اتباع السنة، وتنسب من خالفها إلى الهوى، وليس على أصحابكم منها سمة وعلامة أنهم أهلها دون من خالفها من سائر الفرق، فكلها في انتحال هذا اللقب شركاء متكافئون، ولستم أولى بهذا اللقب إلا أن تأتوا بدلالة ظاهرة من الكتاب والسنة أو من إجماع أو معقول .

الجواب: قولكم إنه لا يجوز لأحد دعوى إلا ببيِّنة عادلة أو دلالة ظاهرة من الكتاب والسنة، هما لنا قائمتان بحمد الله ومنّه .

قال الله تعالى: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ [الحشر:٧] فأمرنا باتباعه وطاعته فيما سنَّ وأمر ونهى وحكم وعلّم .

وقال النبي ﷺ : ((عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي))[(١)] وقال: ((من رغب عن سنتي فليس مني))[(٢)] .

---

(١) أخرجه أبو داود: ٤/٢٠٠،٢٠١ برقم ٤٦٠٧ والترمذي: ٥/٤٤ برقم ٢٦٧٦ وقال: حسن صحيح . وصححه الألباني، انظر ظلال الجنة: ١/٢٩-٣٠ برقم ٥٤-٥٩ .

(٢) أخرجه مسلم: ٩/١٧٥ .

ثم لعن تارك سنته على ما روي أنه قال: ((ستة لعنتهم وكلُّ نبي مجاب الدعوة))[1] وذكر في آخره: والتارك لسنتي .

فوجدنا سنته، وعرفناها بهذه الآثار المشهورة التي رويت بالأسانيد الصحاح المتصلة التي نقلها حفاظ العلماء بعضهم عن بعض .

ثم نظرنا فرأينا فرقة أصحاب الحديث لها أطلب، وفيها أرغب، ولها أجمع، ولصحاحها أتبع؛ فعلمنا يقينا أنهم أهلها دون من سواهم من جميع الفرق؛ فإن صاحب كل حرفة أو صناعة ما لم يكن معه دلالة عليه من صناعته وآلة من آلاته ثم ادعى تلك الصناعة؛ كان في دعواه عند العامة مبطلا، وفي المعقول عندهم متجهلا، فإذا كانت معه آلات الصناعة والحرفة شهدت له تلك الآلات بصناعته، بل شهد له كل من عاينه قبل الاختبار .

كما أنك إذا رأيت رجلا قد فتح باب دكانه على بزٍّ علمت أنه بزّاز وإن لم تختبره، وإذا فتح على تمر علمت أنه تمّار، وإذا فتح على عطر علمت

---

(١) أخرجه بهذا اللفظ ابن أبي عاصم في السنة: ١/٢٤، ١٤٩ برقم ٤٤، ٣٣٧ وقال الألباني في تخريجه لهذا الكتاب المسمى ظلال الجنة: "إسناده ضعيف" وقد أخرجه الترمذي: ٤/٤٥٧ برقم ٢١٥٤ ولفظه: "ستة لعنتهم ولعنهم الله وكل نبي كان: الزائد في كتاب الله والمكذب بقدر الله والمتسلط بالجبروت ليعز بذلك من أذل الله ويذل من أعز الله والمستحل لحُرَم الله والمستحل من عترتي ما حرم الله والتارك لسنتي" .

أنه عطّار، وإذا رأيت بين يديه الكير والسَّنْدان[١] والمطرقة علمت أنه حـدّاد، وإذا رأيت بين يديه الإبرة والجَلَم[٢] علمت أنه خيّاط .

وكذلك صاحب كل صناعـة إنمـا يستدل على صناعتـه بآلتـه فيحكـم بالمعاينة من غير اختبار .

ولو رأيت بين يدي نجار قدوما ومنشارا ومثقبا وهو مسـتعد للعمـل بهـا ثم سميته خياطا؛ جهلت .

وإذا رأيت بنّاء معه آلة البنّائين ثم سميته حدادا جهلت .

وكذلك من معـه الكـير والسـندان ومنفـخ إذا سـميته بـزّازا أو عطـارا؛ جهلت .

ولو قال صاحب التمر لصاحب العطر: أنا عطار، قال له: كذبت بل أنا هو . وشهد له بذلك كل من أبصره من العامة .

ثم كل صاحب صناعة وحرفة يفتخر بصناعته، ويستطيل بهـا، ويجـالس أهلها، ولا يذمها .

ورأينا أصحاب الحديث رحمهم الله قديمـا وحديثـا هـم الذيـن رحلـوا في طلب هذه الآثار التي تدل على سـنن رسـول الله ﷺ فأخذوهـا مـن معادنهـا، وجمعوها من مظانّها، وحفظوها واغتبطوا بها، ودعوا إلى اتباعها، وعابوا مـن

---

(١) السندان: القطعة من الحديد . انظر المصباح المنير: ٢٥٠، ٢٩١ .

(٢) الجلم: الذي يجز به الشعر والصوف وهو المقص . انظر النهايـة في غريـب الحديـث والأثـر: ٢٩٠/١ .

خالفها، وكثرت عندهم وفي أيديهم حتى اشتهروا بها، كما اشتهر البزّاز ببزِّه، والتمّار بتمره، والعطار بعطره .

ثم رأينا أقواما انسلخوا من حفظها ومعرفتها وتنكبوا اتباع أصحها وأشهرها، وطعنوا فيها وفيمن أخذ بها، وزهَّدوا الناس في جمعها ونشرها، وضربوا لها ولأهلها أسوأ الأمثال؛ فعلمنا بهذه الدلائل الظاهرة والشواهد القائمة أن هؤلاء الراغبين فيها وفي جمعها وحفظها واتباعها أولى بها وأحق من سائر الفرق الذين تنكبوا أكثرها .

وهي التي تحكم على أهل الأهواء بالأهواء؛ لأن الاتباع عند العلماء هو الأخذ بسنن رسول الله ﷺ التي صحت عنه ـ عند أهلها ونقلتها وحفاظها ـ والخضوع لها والتسليم لأمر النبي ﷺ فيها، تقليدا لمن أمر الله بتقليده والائتمار بأمره والانتهاء عما نهى الله عنه .

ووجدنا أهل الأهواء الذين استبدوا بالآراء والمعقولات بمعزل عن الأحاديث والآثار التي هي طريق معرفة سنة رسول الله ﷺ .

فهذا الذي قلناه سمة ظاهرة وعلامة بيِّنة تشهد لأهل السنة باستحقاقها، وعلى أهل الأهواء ـ في تركها والعدول عنها ـ بأنهم ليسوا من أهلها .

ولا نحتاج في هذا إلى شاهد أبين من هذا، ولا إلى دليل أضوأ من هذا .

فإن قالوا: إن لكل فريق من الأهواء وأصحاب الآراء حججا من آثار رسول الله ﷺ يحتجون بها .

قلنا: أجل ولكن يحتج بقول التابعي على قول النبي ﷺ أوبحديث مرسل ضعيف على حديث متصل قوي .

ومن هنا امتاز أهل اتباع السنة عن غيرهم لأن صاحب السنة لا يألو أن يتبع من السنن أقواها، ومن الشهود عليها أعدلها وأتقاها .

وصاحب الهوى كالغريق: يتعلق بكل عود ضعيف أو قوي . فإذا رأيت الحاكم لا يقبل من الشهود إلا أعدلها وأتقاها؛ كان ذلك منه شاهدا على عدالته، وإذا غمَّض وقنع بأرداها؛ كان ذلك دليلا على جوره . وكان المتبع لا يتبع من الآثار إلا ما هو عند العلماء أقوى، وصاحب الهوى لا يتبع إلا ما يهوى وإن كان عند العلماء أوهاها .

وكل ذي حرفة وصناعة موسوم بصناعته، معروف بآلته، متى أعوزته الآلة زالت عنه آية الصناعة، وكذلك سمات أهل السنن والأهواء .

وفي دون ما فسَّرناه ما يشفي، والأقل من هذا يكفي من كان موفقا، ولَحِقَه عونٌ من الله تعالى .

قالوا: قد كثرت الآثار في أيدي الناس واختلطت عليهم .

قلنا: ما اختلطت إلا على الجاهلين بها فأما العلماء بها فإنهم ينتقدونها انتقاد الجهابذة الدراهم والدنانير، فيميزون زيوفها ويأخذون جيادها .

ولئن دخل في غمار الرواة من وُسم بالغلط في الأحاديث؛ فلا يروج ذلك على جهابذة أصحاب الحديث ورُتوت[1] العلماء حتى أنهم عدوا

---

(١) رتوت: جمع رتّ، والرَّتُّ: الرئيس من الرجال في الشرف والعطاء . انظر لسان العرب: ٣٤/٢ .

أغاليط من غلط في الأسانيد والمتون، بل تراهم يعدون على كل رجل منهم في كم حديث غلط، وفي كم حرف حرَّف، وماذا صحَّف؟

فإذا لم تَرُجْ عليهم أغاليط الرواة في الأسانيد والمتون والحروف فكيف يروج عليهم وضعُ الزنادقة وتوليدهم الأحاديث!

يقول بعض الناس: إن بعض الزنادقة ادعى أنه وضع ألوفاً من الأحاديث وخلطها بالأحاديث التي يرويها الناس حتى خفيت على أهلها .

وما يقول هذا إلا جاهل ضال مبتدع كذاب، يريد أن يُهَجِّن[1] بهذه الدعوى الكاذبة صحاح أحاديث النبي ﷺ وآثاره الصادقة؛ فيُغَلِّطَ جهّال الناس بهذه الدعوى .

وما احتج مبتدع في ردِّ آثار رسول الله ﷺ بحجة أوهى منها، ولا أشد استحالة من هذه الحجة، فصاحب هذه الدعوى يستحق أن يُسَف في فيه الرماد ويُنفى من بلاد الإسلام .

فتدبر ـ رحمك الله ـ أيُجعل حكمُ من أفنى عمره في طلب آثار رسول الله ﷺ شرقاً وغرباً، براً وبحراً، وارتحل في الحديث الواحد فراسخ، واتَّهم أباه وأدناه في خبر يرويه عن النبي ﷺ إذا كان موضع التهمة، ولم يحابه في مقال ولا خطاب غضبا لله وحَمِيَّة لدينه .

---

(١) الهُجْنَة في الكلام: العيب والقبح . انظر المصباح المنير: ٦٣٥ .

ثم ألَّف الصحف والأجلاد في معرفة المحدثين وأسمائهم وأنسابهم، وقدَّر أعمارهم وذَكَرَ أعصارهم وشمائلهم وأخبارهم، وفَصَلَ بين الرديء والجيِّد، والصحيح والسقيم حنقا لله ورسوله وغيرةً على الإسلام والسنة .

ثم استعمل آثاره كلها حتى فيما عدا العبادات من أكله وطعامه وشرابه ونومه ويقظته وقيامه وقعوده ودخوله وخروجه وجميع سيرته وسننه حتى في خطراته ولحظاته .

ثم دعا الناس إلى ذلك، وحثّهم عليه، وندبهم إلى استعماله، وحبَّب إليهم ذلك بكل ما يمكنه حتى في بذْل ماله ونفسه .

كمن أفنى عمره في اتباع أهوائه وآرائه وخواطره وهواجسه، ثم تراه يردُّ ما هو أوضح من الصبح من سنن رسول الله ﷺ وأشهر من الشمس برأي دخيل، واستحسان ذميم، وظن فاسد، ونظر مشوب بالهوى !

فانظر ـ وفقك الله للحق ـ أي الفريقين أحق بأن يُنسب إلى اتباع السنة واستعمال الأثر: الفرقة الأولى أم الثانية؟

فإذا قضيت بين هذين بوافر لُبِّك وصحيح نظرك وثاقب فهمك؛ فليكن شكرك لله على حسب ما أراك من الحق، ووفقك للصواب، وألهمك من السّداد، واختصك به من إصابة الحسن في القول والعمل .

فإذا كنت كذلك فقد ازددت يقينا على يقين، وثلجا على ثلج، وإصابة على إصابة، ومن الله التأييد والتسديد والإلهام والإعلام، وهو حسْب أهل السنة، وعليه توكلهم، ومنه معونتهم وتوفيقهم ونصرتهم بمنّه وفضله وعميم كرمه وطَوْله .

❑❑❑ ❑❑❑ ❑❑❑

[٩- إبطال طريقة النظر عند المتكلمين[١]]

فصل

سؤال: قالوا: قد جعلتم أصل الدين هو الاتباع، ورددتم على من يرجع إلى المعقول ويطلب الدين من قِبَله .

وهذا خلاف الكتاب؛ لأن الله ذمَّ التقليد في القرآن، وندب الناس إلى النظر والاستدلال والرجوع إلى الاعتبار، وأمر بمجادلة المشركين بالدلائل العقلية .

وإنما ورد السمع مؤيِّدا لما يدل عليه العقل، ومَنْ تدبر القرآن ونظر في معانيه وجد تصديق ما قلناه فيه .

الجواب: قلنا قد دللنا فيما سبق أن الدين هو الاتباع، فذكرنا في بيانه ودلائله ما يجد [به] المؤمن شفاء الصدر وطمأنينة القلب بحمد الله ومنّه وتوفيقه[٢] .

---

(١) للاستزادة في هذا الموضوع ينظر: درء التعارض: ٨/٤-١٢، ٣٤٨ والنبوات لابن تيمية: ٦١، ٦٢، ٦٩، ٧٢ ومجموع الفتاوى: ١١٨/١٩، ١١٩ وشرح العقيدة الطحاوية: ٦٦، ٦٧، ٧٥ ولوامع الأنوار: ٢٧٠/١ وللشيخ عبد الله الغنيمان بحث قيِّم في هذا الموضوع بعنوان " أول واجب على المكلف عبادة الله تعالى: وضوح ذلك من كتاب الله ودعوات الرسل " وقد نُشر في مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في العددين: ٦٢ و٦٣ .

(٢) انظر ص ٤ .

وأما لفظ التقليد فلا نعرفه جاء في شيء من الأحاديث وأقوال السلف فيما يرجع إلى الدين، وإنما ورد الكتاب والسنة بالاتباع[١] .

وقد قالوا: إن التقليد "قبول قول الغير من غير حجة"[٢]وأهل السنة إنما اتبعوا قول رسول الله ﷺ وقوله نفس الحجة، فكيف يكون هذا قبول قول الغير من غير حجة؟

فإن المسلمين قد قامت لهم الدلائل السمعية على نبوة رسول الله ﷺ لمّا نَقَل إلينا أهل الإتقان والثقات من الرواة ما لا يعد كثرة من المعجزات والبراهين والدلالات التي ظهرت عليها وقد نقلها أصحاب الحديث في كتبهم ودوَّنوها، وليس المقصود من ذكرها في هذا الموضع بيانها بتفاصيلها، وإنما قصدنا بيان طريق أهل السنة .

فلما صحت عندهم نبوته ووجدوا صدقه في قلوبهم؛ وجب عليهم تصديقه فيما أنبأهم من الغيوب، ودعاهم إليه من وحدانية الله عز وجل وإثبات صفاته وسائر شرائط الإسلام .

وعلى أننا لا ننكر النظر قدْر ما ورد به الكتاب والسنة ـ لينال المؤمن بذلك زيادة اليقين وثلج الصدر وسكون القلب ـ وإنما أنكرنا طريقة أهل

---

(١) اتباع الوحي والعمل بالنصوص أصل من أصول هذا الدين، وهو توحيد المتابعة . انظر في ذلك: جامع بيان العلم وفضله: ١٠٩/٢ وما بعدها وإعلام الموقعين: ١٩٠/٢، ٢٠٠، ٢٠١ وشرح العقيدة الطحاوية: ٢١٧ وأضواء البيان: ٤٧٧/٧-٤٧٩، ٥٤٧-٥٥٠ .

(٢) هذا معنى التقليد عند الأصوليين . انظر المستصفى: ١٣٩/٤ والإحكام للآمدي: ١٩٢/٤ .

الكلام فيما أسسوا؛ فإنهم قالوا: "**أول ما يجب على الإنسان النظر المؤدِّي إلى معرفة الباري عز وجل**"(١) .

وهذا قول مخترع لم يسبقهم إليه أحد من السلف وأئمة الدين، ولو أنك تدبرت جميع أقوالهم وكتبهم لم تجد هذا في شيء منها لا منقولا من النبي ﷺ ولا من الصحابة وكذلك من التابعين بعدهم .

وكيف يجوز أن يخفى عليهم أول الفرائض وهم صدر هذه الأمة والسفراء بيننا وبين رسول الله ﷺ ؟

ولئن جاز أن يخفى الفرض الأول على الصحابة والتابعين حتى لم يبينوه لأحد من هذه الأمة مع شدة اهتمامهم بأمر الدين وكمال عنايتهم حتى استخرجه هؤلاء بلطيف فطنتهم في زعمهم؛ فلعله خفي عليهم فرائض أخر!

ولئن كان هذا جائزا؛ فلقد ذهب الدين واندرس، لأنّا إنما نبني أقوالنا على أقوالهم، فإذا ذهب الأصل فكيف يمكن البناء عليه؟

نعوذ بالله من قول يؤدي إلى هذه المقالة الفاحشة القبيحة التي تؤدي إلى الانسلاخ من الدين وتضليل الأئمة الماضين .

هذا وقد تواترت الأخبار أن النبي ﷺ كان يدعو الكفار إلى الإسلام والشهادتين:

قال ﷺ لمعاذ ﷺ حين بعثه إلى اليمن: ((ادعهم إلى شهادة ألاّ إله إلا الله))(٢) .

---

(١) انظر ذلك في المواقف: ٢٩-٣٢ .

وقال ﷺ أيضاً: ((أُمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله))(١) .

وقال ﷺ أيضاً: ((إذا نازلتم أهل حصن أو مدينة فادعوهم إلى شهادة ألاّ إله إلا الله))(٢) ومثل هذا كثير .

ولم يرو أنه دعاهم إلى النظر والاستدلال، وإنما يكون حكم الكافر في الشرع أن يُدعى إلى الإسلام فإن أبى وسأل النظرة والإمهال لا يجاب إلى ذلك، ولكنه إما أن يُسلم أو يُعطي الجزية أو يُقتل، وفي المرتد إما أن يُسلم أو يُقتل، وفي مشركي العرب على ما عُرف .

وإذا جعلنا الأمر على ما قاله أهل الكلام لم يكن الأمر على هذا الوجه، ولكن ينبغي أن يقال له ـ أعني الكافر ـ : عليك النظر والاستدلال لتعرف

==

(٢) أخرجه البخاري: ٣٤٧/١٣ برقم ٧٣٧١،٧٣٧٢ ومسلم: ١٩٥/١-٢٠٠ وقد تقدم في ص ٣٩ .

(١) أخرجه البخاري: ٧٥/١ برقم ٢٥ ومسلم: ٢٠٠/١-٢١٢ واللفظ له .

(٢) لم أقف على حديث بهذا اللفظ، وإنما وردت في وصية الرسول ﷺ لأمراء جيشه بدعوة الكفار أولا إلى الإسلام أحاديث مشتهرة بل قد تواتر هذا عن الرسول ﷺ ـ على ما قرره المؤلف ـ ومن هذه الأحاديث ما أخرجه مسلم: ٣٧/١٢ عن بريدة ﷺ أنه قال: "كان رسول الله ﷺ إذا أمّر أميرا على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرا ثم قال اغزوا باسم الله . . . وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال أوخلال فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكفَّ عنهم ثم ادعهم إلى الإسلام فإن أجابوك فاقبل منهم وكفَّ عنهم" قال القاضي عياض: "صواب الرواية ادعهم بإسقاط ثم . . . لأنه تفسير للخصال الثلاث وليست غيرها" شرح النووي على مسلم: ٣٨/١٢ .

الصانع بهذا الطريق ثم تعرف الصفات بدلائلها وطرقها ثم مسائل كثيرة إلى أن يصل الأمر إلى النبوات .

ولا يجوز على طريقهم الإقدام على هذا الكافر بالقتل والسبي إلا بعد أن يذكر له هذا ويمهل؛ لأن النظر والاستدلال لا يكون إلا بمهلة، خصوصا إذا طلب الكافر ذلك، وربما لا يتفق النظر والاستدلال في مدة يسيرة فيحتاج إلى إمهال الكفار مدة طويلة تأتي على سنين، ليتمكنوا من النظر على التمام والكمال، وهو خلاف إجماع المسلمين .

وقد حُكي عن أبي العباس بن سريج[1] أنه قال: (لو أن رجلا جاءنا وقال: إن الأديان كثيرة فخلوني أنظر في الأديان فما وجدتُ الحق فيه قبلتُه، وما لم أجد فيه تركته؛ لم نخله، وكلفناه الإجابة إلى الإسلام، وإلا أوجبنا عليه القتل)[2] .

وقد جعل أهل الكلام مَن تخلف ناظراً فيه وفي غيره من الأديان مقيماً على الطاعة، مؤتمراً بأمره، محموداً في فعله . وهذا جهل عظيم في الإسلام .

---

(١) هو أحمد بن عمر بن سريج، الفقيه الشافعي، توفي سنة ٣٠٦هـ . انظر وفيات الأعيان: ٦٦/١ وطبقات الشافعية لابن السبكي: ٢١/٣ .

(٢) في هذه المسألة التفصيل الآتي: إن كان هذا الرجل مرتدا فلا يؤخر أكثر من ثلاث عند الجمهور، وأما المعاهد فلا يكره على الإسلام بل هو في مهلة النظر دائما، وأما الحربي حال المقاتلة فيقاتَل حتى يسلم أو يقر بالجزية ـ إن كان من أهلها ـ فإذا أسر ثم طَلب الإمهال ورُجي إسلامه أُمهل . وكذا لو طلب أهل دار ممتنعين من الإمام أن يمهلهم مدة وَرَجا بذلك إسلامهم ولم يخف مفسدة راجحة أمهلهم . انظر درء التعارض: ١٥/٨ .

وينبغي على قولهم إذا مات في مدة النظر والمهلة قبل قبول الإسلام أنه مات مطيعا لله، مقيما على أمره، لابد من إدخاله الجنة كما يدخل المسلمون .

وقد جعلوا غير المسلم مطيعا لله، مؤتمراً بأمره في باب الدين، وأوجبوا إدخاله الجنة وقد قال تعالى: ﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ [آل عمران:٨٥] وقال النبي ﷺ : ((لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة))[١] وهذا حديث ثابت لاشك فيه .

ومما يدل على صحة ما ذهبنا إليه من أن الدين طريقه الاتباع: أنّا إذا سلكنا طريق الإنصاف وطرحنا التباغي والمكابرات من جانب؛ فلابد من الانقياد لما قلناه؛ لأن المقصود من النظر في الابتداء إذا كان هو إصابة الحق فليتدبر المرء المسلم المسترشد أحوال هؤلاء الناظرين وكيف تحيروا في نظرهم وارتكسوا فيه .

فلئن نجا واحد بنظره فقد هلك فيه الألوف من الناس، وإلى أن يبصر واحد فواحد بنظره طريق الحق - بنظر رحمة سبق من ا لله له - فقد ارتطم بطريق الكفر والضلالات والبدع بنظرهم أضعاف أضعاف عدد الأولين .

وهل كانت الزندقة والإلحاد وسائر أنواع الكفر والضلالات والبدع منشؤها وابتداؤها إلا من النظر؟

(١) أخرجه الترمذي: ٢٢٢/٣ برقم ٨٧١ وحسّنه . وقد تقدم تخريجه في ص: ٣٨ .

ولو أنهم أعرضوا عن ذلك وسلكوا طريق الاتباع ما أدّاهم إلى شيء منها .

فما من هالك في العالم إلا وبدوُّ هلاكه من النظر، وما من ناج في الدين سالك سبيل الحق إلا وبدوُّ نجاته عن حسن الاتباع .

أفيستجيز مسلم أن يدعو الخلق إلى مثل هذا الطريق المظلم ويجعله سبيل منجاتهم؟

وكيف يستجيز ذو لُبٍّ وبصيرة أن يسلك مثل هذا الطريق؟ وأنى له الأمان من هذه المهالك؟ وكيف له المنجاة من أودية الكفر وعامتها بل جميعها إنما يهبط عليها من هذه المرقاة؟ أعني طلب الحق من النظر .

ولو أعطى الخصم النَّصَفَة لا يجد بُدًّا من الإقرار: أن من كان غوره في النظر أكثر كانت حيرته في الدين أشد وأعظم(١) .

وهل رأى أحدٌ متكلماً أدّاه نظره وكلامه إلى تقوى في الدين، أو ورع في المعاملات، أو سداد في الطريقة، أو زهد في الدنيا، أو إمساك عن حرام أوشبهة، أو خشوع في عبادة، أو ازدياد في طاعة، أو تورع من معصية إلا الشاذّ النادر؟

---

(١) انظر نماذج من أقوال شيخ الإسلام ابن تيمية في حيرة المتكلمين ـ خصوصا الأشاعرة ـ وتناقضهم، وذلك في كتاب موقف ابن تيمية من الأشاعرة: ٢/٨٨١-٨٩٥ .

بل لو قلبتَ القصة كنتَ صادقاً: تراهم أبداً منهمكين في كل فاحشة، متلبسين بكل قاذورة، لا يرعوون عن قبيح، ولا يرتدعون من باطل إلا من عصمه الله .

فلئن دلَّهم النظر على اليقين وحقيقة التوحيد فبئس ثمرة اليقين هذا، وتعساً لتوحيدٍ أدّاهم إلى مثل هذه الأشياء وأوردهم هذه المتالف في الدين(١) .

ومن الله التوفيق وحسن المعونة لإصابة طريق الحق والثبات عليه بمنّه .

وقالوا أيضاً ـ وهو الأصل الذي يؤسسه المتكلمون والطريق الذي يجعلونه قاعدة علومهم(٢) ـ: **"من لم يحكّم هذا الأصل لم يمكنه إثبات حدث العالم وذلك مسألة العَرَض والجوهر وإثباتهما"**(٣) .

---

(١) قال ابن تيمية: (وأيضاً فالمخالفون لأهل الحديث هم مظنة فساد الأعمال: إما عن سوء عقيدة ونفاق، وإما عن مرض في القلب وضعف إيمان، ففيهم مِن تركْ الواجبات واعتداء الحدود والاستخفاف بالحقوق وقسوة القلب ما هو ظاهر لكل أحد، وعامة شيوخهم يرمون بالعظائم، وإن كان فيهم من هو معروف بزهد وعبادة، ففي زهد بعض العامة من أهل السنة وعبادته ما هو أرجح مما هو فيه) . مجموع الفتاوى: ٥٣/٤ وانظر منه: ٥٣/٤-٥٥ .

(٢) وردت في الأصل ها هنا جملة: (وربما قالوا) وقد تمَّ حذفها لاستغناء السياق عنها .

(٣) قال ابن تيمية رحمه الله تعالى في الرد على من استدل بطريقة الأعراض وحدوثها على إثبات الصانع: (. . . فمن قال: **"إن الإيمان بالله ورسوله لا يحصل إلا بهذه الطريق"** كان قوله معلوم الفساد بالاضطرار من دين الإسلام . ومن قال: **"إن سلوك هذه الطريق واجب في معرفة الصانع تعالى"** كان قوله من البدع الباطلة المخالفة لما علم بالاضطرار من دين

==

فإنهم قالوا: "إن الأشياء لا تخلو من ثلاثة أوجه: إما أن يكون جسما أو عرضا أو جوهرا .

فالجسم: ما اجتمع من الافتراق .

==

الإسلام .

ولهذا كان عامة أهل العلم يعترفون بهذا وبأن سلوك هذه الطريق ليس بواجب، بل قد ذكر أبو الحسن الأشعري في رسالته إلى أهل الثغر أن سلوك هذه الطريق بدعة محرمة في دين الرسل، لم يدع إليها أحد من الأنبياء ولا من أتباعهم .

ثم القائلون بأن هذه الطريق ليست واجبة قد يقولون: **إنها في نفسها صحيحة، بل يُنهى عن سلوكها لما فيها من الأخطار**، كما يذكر ذلك طائفة، منهم الأشعري والخطابي وغيرهما .

وأما السلف والأئمة **فينكرون صحتها في نفسها ويعيبونها لاشتمالها على كلام باطل**، ولهذا تكلموا في ذمِّ مثل هذا الكلام لأنه باطل في نفسه لا يوصل إلى حق بل إلى باطل، كقول مَن قال: الكلام الباطل لا يدل إلا على باطل . . . . . . ونحن الآن في هذا المقام نذكر ما لا يمكن مسلما أن يُنازِع فيه، وهو أنّا نعلم بالضرورة أنّ هذه الطريق لم يذكرها الله تعالى في كتابه، ولا أمر بها رسوله ﷺ ولا جعل إيمان المتبعين له موقوفا عليها، فلو كان الإيمان بالله لا يحصل إلا بها لكان بيان ذلك من أهم مهمات الدين، بل كان ذلك أصل أصول الدين . . . . . . فلما لم يكن الأمر كذلك عُلم أن الإيمان يحصل بدونها، بل إيمان أفضل هذه الأمة وأعلمهم بالله كان حاصلا بدونها) درء التعارض: ١/٣٠٨-٣١٠ وانظر أيضا مجموع الفتاوى: ٥/٥٤٢-٥٤٤ .

وللاستزادة ينظر: درء التعارض: ١/٤٤، ٤٥، ١٠٠-١٠٥، ٣٠١-٣٠٢، ٧/٢٢٣-٢٢٧ وشرح العقيدة الأصفهانية: ١٨-٢٠ .

والجوهر: ما احتمل الأعراض .

والعرض: ما لا يقوم بنفسه وإنما يقوم بغيره"[١] .

وجعلوا الروح من الأعراض، وردوا أخبار رسول الله ﷺ في خلق الروح قبل الجسد[٢]، لأنه لم يوافق نظرهم وأصولهم واختراعهم، وردوا خبره ﷺ في خلق العقل قبل الخلق[٣] .

---

(١) انظر ذلك في التمهيد للباقلاني: ٣٧-٤٣ .

(٢) مما ورد في ذلك ما رواه البخاري واللفظ له: ٣٦٣/٦ برقم ٣٣٣٤ ومسلم: ١٤٧/١٧ عن أنس بن مالك ﷺ يرفعه: ((إن الله يقول لأهون أهل النار عذابا: لو أن لك ما في الأرض من شيء كنت تفتدي به؟ قال: نعم . قال: فقد سألتك ما هو أهون من هذا وأنت في صلب آدم: ألاّ تشرك بي، فأبيتَ إلا الشرك)) وقد استدل بهذا الحديث وبغيره مَن قال: إن الأرواح مخلوقة قبل الأجساد .

قال السفاريني - بعد فراغه من هذه المسألة - : (والحاصل أن الذي ذهب إليه ابن القيم تبعا لشيخه وجموع أن خلق الأجساد مقدم على خلق الأرواح، وذهب محمد بن نصر المروزي وأبو محمد بن حزم والإمام إسحاق بن راهويه إلى تقدم خلق الأرواح . وبالله التوفيق) لوامع الأنوار: ٤٥/٢ .

وانظر الروح لابن القيم: ١٥٦-١٧٥ وشرح العقيدة الطحاوية: ٢٦٧، ٢٧٠ .

(٣) يروى في ذلك حديث مكذوب على رسول الله ﷺ ولفظه: "أول ما خلق الله العقل قال له أقبل فأقبل، ثم قال له أدبر فأدبر، ثم قال الله عز وجل: وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا أكرم عليَّ منك، بك آخذ وبك أعطي، وبك أثيب وبك أعاقب" قال ابن تيمية: "موضوع باتفاق أهل العلم بالحديث" مجموع الفتاوى: ١٥٣/٣٥ وانظر منه: ٢٤٤/١، ٣٣٣/١٧، ٣٣٦/١٨-٣٣٨، ٢٤٢/٢٧ وانظر المنار المنيف: ٦٦ والمغني عن حمل الأسفار في الأسفار: ٨٣/١ وتمييز الطيب من الخبيث: ٤٩ برقم ٣٠٣ وتذكرة

==

وإنما ردوا هذه الأخبار لأن العقل عندهم عرض كالروح، والعرض لا يقوم بنفسه، فردوا الأخبار بهذا الطريق .

وكذلك ردوا الخبر الذي روي عن النبي ﷺ : أن المُوت يذبح على الصراط[١]؛ لأن الموت عرض لاينفرد بنفسه .

فهذا أصلهم الثاني الذي أدّى إلى رد الأخبار الثابتة عن رسول الله ﷺ، ومثل هذا كثير يأتي بيانه .

ولهذا قال بعض السلف: (إن أهل الكلام أعداء الدين)[٢]لأن اعتمادهم على حدسهم وظنونهم وما يؤدي إليه نظرهم وفكرهم، ثم يعرضون عليه الأحاديث: فما وافقه قبلوه، وما خالفه ردوه على ما سبق بيانه[٣] .

وأما أهل السنة ـ سلّمهم الله ـ فإنهم يتمسكون بما نطق به الكتاب ووردت به السنة، ويحتجون له بالحجج الواضحة والدلائل الصحيحة على

==

الموضوعات: ٢٨، وانظر التعليق الآتي في ص ٨٠ .

(١) أخرجه ابن ماجه: ١٤٤٧/٢ برقم ٤٣٢٧ والحديث عند البخاري: ٤١٥/١١ برقم ٦٥٤٨ بدون ذكر "الصراط" .

(٢) ورد عن عمر ﷺ أنه قال: (إن أصحاب الرأي أعداء السنن، أعيتهم أن يحفظوها، وتفلتت منهم أن يعوها، واستحيوا حين سُئلوا أن يقولوا: لا نعلم، فعارضوا السنن برأيهم، فإياكم وإياهم) أخرجه بن عبد البر في الجامع: ١٠٤١/٢-١٠٤٢ برقم ٢٠٠١-٢٠٠٥ .

(٣) انظر ص ٤٤ .

حسب ما أذن فيه الشرع وورد به السمع، ولا يدخلون بآرائهم في صفات الله تعالى ولا في غيرها من أمور الدين، وعلى هذا وجدوا سلفهم وأئمتهم .

«وقد قال الله تعالى: ﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا﴾ [الأحزاب:٤٥] .

وقال أيضاً: ﴿يا أيها الرسول بلّغ ما أُنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته﴾ [المائدة:٦٧] .

وقال ﷺ في خطبة الوداع وفي مقامات له شتى، وبحضرته عامة أصحابه ﷺ : ((ألا هل بلغت))[(١)] .

وكان مما أنزل إليه وأُمر بتبليغه: أمر التوحيد وبيانه بطريقته، فلم يترك النبي ﷺ شيئا من أمور الدين وقواعده وأصوله وشرائعه وفصوله إلا بيَّنه وبلَّغه على كماله وتمامه، ولم يؤخر بيانه عن وقت الحاجة إليه، إذ لو أَخَّر فيها البيان لكان قد كلفهم ما لا سبيل لهم إليه[(٢)] .

وإذا كان الأمر على ما قلناه وقد علمنا أن النبي ﷺ لم يدعهم في هذه الأمور إلى الاستدلال بالأعراض والجواهر وذكْر ماهيتهما، ولا يمكن لأحد من الناس أن يروي في ذلك عنه ولا عن أحد من الصحابة ﷺ من هذا النمط حرفاً واحداً فما فوقه، لا في طريق تواتر ولا آحاد؛ فعلمنا أنهم ذهبوا خلاف

---

(١) أخرجه البخاري: ٥٧٣/٣ برقم ١٧٤١ .

(٢) اتفق الأصوليون على أنه لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة . انظر رسالة أبي الحسن الأشعري إلى أهل الثغر: ١٠٠ وروضة الناظر: ٥٧/٢ والإبهاج لابن السبكي: ٢١٥/٢ وشرح الكوكب المنير: ٤٥١/٣ .

مذهب هؤلاء وسلكوا غير طريقهم، وأنَّ هذا طريق محدث مخترع، لم يكن عليه رسول الله ﷺ ولا أصحابه ﷺ، وسلوكه يعود عليهم بالطعن والقدح ونسبتهم إلى الجهل وقلة العلم في الدين واشتباه الطريق عليهم»(١).

وبلغني أنه كان لأبي هاشم الجبائي ابنة تسمى فاطمة، وكان أصحابه يقولون: إن فاطمة بنت أبي هاشم أعلم بالله وبطريق الحق من فاطمة بنت محمد ﷺ ورضي عنها.

فنعوذ بالله من طريق يؤدي إلى مثل هذا القول ونسأله التوفيق لما يحب ويرضى.

«وإياك - رحمك الله - أن تشتغل بكلامهم ولا تغتر بكثرة مقالاتهم فإنها سريعة التهافت، كثيرة التناقض. وما من كلام تسمعه لفرقة منهم إلا ولخصومهم عليه كلام يوازيه أو يقاربه، فكلٌ بكلٍ معارض، وبعضٌ ببعضٍ مقابل. وإنما يكون تقدم الواحد منهم وفَلْجه(٢) على خصمه بقدر حظّه من البيان وحذقه في صناعة الجدل والكلام.

وأكثر ما يغلب بعضهم بعضا إنما هو إلزام من طريق الجدل على أصول لهم، ومناقضات على أقوال حفظوها عليهم، فهم يطالبونهم بعودها وطردها،

---

(١) ما بين القوسين من كلام الإمام الخطابي في رسالته "الغنية عن الكلام وأهله" مع اختلاف يسير في بعض الألفاظ. انظر درء التعارض: ٧/٢٩٦-٢٩٧ وصون المنطق والكلام: ٩٥-٩٦.

(٢) الفلج بوزن الفَلْس: الظفر والفوز من باب نصر. انظر مختار الصحاح: ٥١٠.

فمن تقاعد عن ذلك سموه من طريق الجدل منقطعا[١]، وجعلوه مبطلا، وحكموا بالفَلْج لخصمه .

والجدل لا يتبين به حق، ولا تقوم به حجة، وقد يكون الخصمان على مقالتين مختلفتين، كلتاهما باطلة ويكون الحق في ثالثة غيرهما، فمناقضة أحدهما صاحبه لا تصحح مذهبه، وإن أفسد به قول خصمه؛ لأنهما مجتمعان في الخطأ، مشتركان فيه، كقول الشاعر فيهم:

حجج تهافت كالزجاج تخالها ... حقا، وكل كاسر مكسور

وإنما كان الأمر كذلك؛ لأن واحدا من الفريقين لا يعتمد في مقالته أصلا صحيحا، وإنما هو آراء تتقابل، وأوضاع تتكافأ وتتعادل))[٢] .

ولو أنصفوا في المحاجّة لزم الواحد منهم أن ينتقل عن مذهبه كل يوم كذا وكذا مرة[٣]، لما يورد عليه من الإلزامات، وتراهم ينقطعون في الحجاج ولا ينتقلون، وهذا هو الدليل على أنه ليس قصدهم طلب الحق وإنما طريقهم اتباع الهوى فحسب .

---

(١) الانقطاع: عجز أحد المتناظرين عن تصحيح قوله . انظر إحكام الفصول للباجي: ١٧٤ .

(٢) ما بين القوسين من كلام الإمام الخطابي في رسالته "الغنية عن الكلام وأهله" مع اختلاف يسير في بعض الألفاظ . انظر درء التعارض: ٧/٣١٣-٣١٤ وصون المنطق والكلام: ٩٩ .

(٣) مما يشهد لذلك قول عمر بن عبد العزيز - وقد تقدم في ص ٢٠ -: (من جعل دينه غَرَضاً للخصومات أكثر التنقل) .

فإذا أُلزم قال: "هذا إلزام توجَّه عليَّ لا على مذهبي وسنأتي بعد بالجواب" . أو: "يوجد من ينفصل عن هذه الشبهة ممن ينتحل ديني ومذهبي" .

فإذا راعينا مثل هذا لم تقم حجة على كافر أبدا، وما هذا إلا طريق يوهم جميع الكافرين أنهم على الحق . قاتلهم الله أنى يؤفكون، وتعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا .

ومن قبيح ما يلزمهم في اعتقادهم: أنّا إذا بنينا الحق على ما قالوا، وأوجبنا طلب الدين بالطريق الذي ذكروه؛ وجب من ذلك تكفير العوام بأجمعهم، لأنهم لا يعرفون إلا الاتباع المجرد .

ولو عُرض عليهم طريق المتكلمين في معرفة الله تعالى ما فهمه أكثرهم، فضلا من أن يصير فيه صاحب استدلال وحجاج ونظر .

وإنما غاية توحيدهم التزام ما وجدوا عليه سلفهم وأئمتهم في عقائد الدين، والعض عليها بالنواجذ، والمواظبة على وظائف العبادات، وملازمة الأذكار، بقلوب سليمة، طاهرة عن الشبهات والشكوك، تراهم لا يحيدون عما اعتقدوه وإن قُطِّعوا إرْباً إرْباً، فهنيئاً لهم هذا اليقين، وطوبى لهم هذه السلامة، فإذا كفَّروا هؤلاء الناس وهم السواد الأعظم وجمهور الأمة فما هذا إلا طي بساط الإسلام، وهدم منار الدين وأركان الشريعة وأعلام الإسلام، وإلحاق هذه الدار ـ أعني دار الإسلام ـ بدار الكفر، وجعل أهليهما بمنزلة واحدة .

ومتى يوجد في الألوف من المسلمين على الشرط الذي يراعونه لتصحيح معرفة الله تعالى؟ أوَ لا يجد مسلم أَلَمَ هذه المقالة القبيحة الشنيعة في قلبه؟

بل لو تقطع حسرات من عظيم ما اخترعوه في الدين وموَّهوه على الناس كان جديرا بذلك .

وإن قالوا: إنا لا نكفر العوام فقد ناقضوا أصولهم حين أثبتوا حقيقة المعرفة والإيمان بغير طريقها على أصولهم .

وأظنُّ أنَّ مَنْ قال عنهم ذلك فإنما هو سلوك طريق التقية، وردُّ تشنيع الناس عليهم، وإلا فاعتقادهم وطريقتهم في أصولهم ما ذكرنا .

وا لله يكفي أهل السنة والجماعة شرَّهم، ويردَّ كيدهم في نحرهم، ويُلحق بهم عاقبة مكرهم بقدرته وعظيم سطوته .



[١٠- معنى العقل ومقامه من الدين عند أهل السنة(١)]

فصل

ونشتغل الآن بذكر معنى العقل ومقامه من الدين عند أهل السنة:

اعلم أن مذهب أهل السنة أن العقل لا يوجب شيئا على أحد، ولا يرفع شيئا عنه، ولا حظ له في تحليل أو تحريم، ولا تحسين ولا تقبيح(٢)، ولو لم يرد السمع ما وجب على أحد شيء، ولا دخلوا في ثواب ولا عقاب(٣) .

---

(١) للاستزادة في هذا الموضوع ينظر: درء التعارض: ٧٨/١-٨٦ والصواعق المرسلة: ٧٩٦/٣-١٥٣٨/٤ ومختصر الصواعق: ٨٣-١٧٨ والتنكيل للمعلمي: ٣١٣/٢-٣٢٥ .

(٢) المراد في هذا المقام بالتحسين: المدح والثواب، وبالتقبيح: الذم والعقاب، وقد يطلقان على ما يلائم الطبع أوينافره، وقد يطلقان كذلك على ما يشعر بالكمال أوبالنقص . والخلاف المذكور في التعليق الآتي إنما هو في الإطلاق الأول . انظر مجموع الفتاوى: ٣٤٧/١١ ومفتاح دار السعادة: ٤٤/٢ وشرح الكوكب المنير: ٣٠٠/١، ٣٠١ .

(٣) مذهب السلف في مسألة التحسين والتقبيح العقليين وسط بين طرفين:

الطرف الأول: إثبات تحسين العقل وتقبيحه، بمعنى أن العقل يدرك الحسن والقبح والثواب والعقاب . وهذا مذهب المعتزلة .

والطرف الثاني: نفي تحسين العقل وتقبيحه، بمعنى أن العقل لا يدرك الحسن والقبح والثواب والعقاب، وإنما طريق ذلك الشرع وحده . وهذا مذهب الأشاعرة .

والوسط: أن الحسن والقبح قد يعرفان بطريق العقل أو الفطرة أو الشرع إلا أن ما عُرف بطريق العقل أو الفطرة لا يترتب عليه ثواب ولا عقاب ولا مدح ولا ذم ما لم تأت

==

((واستدلوا على هذا بقوله تعالى: ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾ [الإسراء:١٥] وبقوله تعالى: ﴿رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾ [النساء:١٦٥] وقال تعالى حاكياً عن الملائكة فيما خاطبوا به أهل النار: ﴿ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء

==

به الرسل، وجميع ما ورد في الشرع لا يخلو عن حكم وعلل ومصالح، علمها من علمها، وجهلها من جهلها، وهذا مذهب السلف .

وقد سلَّم الله **أهل السنة** من الوقوع فيما وقع فيه مخالفوهم من المحاذير:

أما **المعتزلة** فقد جعلوا ما أدركته عقولهم أصلا قاطعاً والشرع عندهم إنما هو كاشف عن حكم العقل، ثم رتبوا على إدراك العقل أن أوجبوا على الله فعل الأصلح، وبنوا عليه أيضاً الثواب والعقاب، ومعلوم أن الله سبحانه لا يسئل عما يفعل، وأن الثواب والعقاب مما لا يدرك إلا بالسمع المجرد .

وأما **الأشاعرة** فقد خالفوا بداهة العقل والفطرة السليمة لما أنكروا دور العقل في التحسين والتقبيح وقالوا باستواء الأفعال حسنها وقبيحها ونفوا عن الله الحكمة والتعليل في أفعاله وأحكامه؛ إذ يجوز عندهم أن يأمر الله بالشرك وينهى عن التوحيد، ومعلوم أن السمع والعقل متفقان لا يختلفان، بل هما أخوان نصيران، ومعلوم أيضاً أن الله في أفعاله وأحكامه منزَّه عن اللهو والعبث، إنه هو الحكيم الخبير .

انظر بالنسبة لمذهب المعتزلة: المعتمد: ٣١٥/٢ وبالنسبة لمذهب الأشاعرة: الإحكام للآمدي: ٧٩/١ والمواقف: ٣٢٣ وبالنسبة لمذهب السلف: مجموع الفتاوى: ٩٠/٨، ٤٢٨، ٤٣١ ومفتاح دار السعادة: ٧/٢، ١٢، ٤٣، ٥٧، ٥٩ والحكمة والتعليل في أفعال الله: ٨٩-٩١ .

يومكم هذا قالوا بلى﴾ [الزمر:٧١] فأقام الحجة عليهم ببعثة الرسل، فلو كانت الحجة لازمة بنفس العقل لم يكن بعثه للرسل شرطا لوجوب العقوبة .

وقال ﷺ : ((أُمرت أن أُقاتل الناس حتى يقولوا لاإله إلا الله))[١]فدل أنه الداعي إلى الإيمان، وعندهم أن الداعي إلى الإيمان هو العقل .

وجاء الكتاب مؤيدا لهذا . قال الله تعالى: ﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا الذي له ملك السموات والأرض﴾ [الأعراف:١٥٨] الآية .

فدل على أن الدعوة له، وأن الحجة تقوم به، وأمثال هذه الآيات في القرآن كثيرة))[٢] .

وما أوحش قول من يقول: إنه لا دعوة لأحد من النبيين والمرسلين إلى الإيمان على الحقيقة، وأن وجودهم وعدمهم في هذا بمنزلة واحدة . ولو لم يكونوا؛ كان وجوب الإيمان على الناس على الجهة التي وجبت عليهم بعد وجوبهم، ولا حظ لدعوتهم في هذا، وإنما الحظ لدعوتهم في الشرائع وفروع العبادات .

فقد جعلوا عقولهم دعاة إلى الله تعالى، ووضعوها موضع الرسل فيما بينهم .

---

(١) أخرجه البخاري: ١/٧٥ برقم ٢٥ ومسلم: ١/٢٠٠-٢١٢ واللفظ له، وقد تقدم في ص ٦٢ .

(٢) ما بين القوسين قريب من كلام الإمام الخطابي في رسالته "الغنية عن الكلام وأهله" مع بعض الاختلاف . انظر صون المنطق والكلام: ١٠١ .

ولو قال قائل: لا إله إلا الله، عقلي رسول الله؛ لم يكن مستنكراً عند المتكلمين من جهة المعنى . فظهر فساد قول من سلك هذا المسلك .

ثم نقول والله الهادي والموفق:

إن الله تعالى أسس دينه وبناه على الاتباع، وجعل إدراكه وقبوله بالعقل .

فمن الدين معقول وغير معقول، والاتباع في جميعه واجب[1] .

ومن أهل السنة من قال بلفظ آخر: **(إن الله لا يُعرف بالعقل، ولا يُعرف مع عدم العقل)** .

ومعنى هذا: أن الله تعالى هو الذي يُعرِّف العبد ذاته، فَيَعْرِف اللهَ بالله لا بغيره؛ لقوله تعالى: ﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء﴾ [القصص:٥٦] ولم يقل: ولكن العقل يهدي من يشاء .

وقال تعالى: ﴿والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾ [البقرة:٢١٣] والآيات في هذا المعنى كثيرة .

وقد ثبت أن النبي ﷺ قال: ((والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدَّقْنا ولا صَلَّينا))[2] .

---

(١) من ذلك قول أهل السنة: إن الأنبياء تأتي بمحارات العقول لا بمحالاتها . انظر درء التعارض: ٢٩٧/٥، ٣٢٧/٧ والروح لابن القيم: ٦٢ .

(٢) أخرجه البخاري: ٣٩٩/٧ برقم ٤١٠٤ واللفظ له ومسلم: ١٧١/١٢ .

فهذه الدلائل دلت أن الله تعالى هو المعرِّف، إلا أنه إنما يُعرِّف العبد نفسه مع وجود العقل، لأنه سبب الإدراك والتمييز، لا مع عدمه، لأن الله تعالى قال: ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾ [الرعد:٤] وقال: ﴿إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب﴾ [ق:٣٧] وقال تعالى مخبراً عن أصحاب النار: ﴿وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير﴾ [الملك:١٠] .

والله يعطي العبد المعرفة لهدايته، إلا أنه لا يحصل ذلك مع فقد العقل .

وهذا كما أن العبد لا يَعْرِف الله تعالى بجسمه ولا بشخصه ولا بروحه، ولا يعرفه مع عدم شخصه وجسمه وروحه؛ كذلك لا يَعْرِف الله بالعقل، ولا يَعْرِفه مع عدم العقل .

ونظير هذا: أن الولد لا يكون مع فقد الوطء، ولا يكون بالوطء؛ بل يكون بإنشاء الله تعالى وخلقه .

وكذلك لا يكون الزرع إلا في أرض وببذر وماء ولا يكون بذلك؛ بل يكون بقدرة الله وإنباته . قال الله تعالى: ﴿أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون﴾ [الواقعة:٦٣،٦٤] معناه: أأنتم تنبتونه أم نحن المنبتون؟ يقال للولد زرعه الله: أي أنبته الله تعالى .

وأمثال هذا كثيرة، والموفَّق يكتفي باليسير، والمخذول لا يشفيه الكثير .

وقد قال بعض أهل المعرفة: (**إنما أعطينا العقل لإقامة العبودية، لا لإدراك الربوبية . فمن شغل ما أُعطي لإقامة العبودية بإدراك الربوبية؛ فاتته العبودية ولم يدرك الربوبية**) .

ومعنى قولنا: (إنما أُعطينا العقل لإقامة العبودية) هو أنه آلة التمييز بين القبيح والحسن، والسنة والبدعة، والرياء والإخلاص، ولولاه لم يكن تكليف ولا توجُّه أمرٍ ولا نهي .

فإذا استعمله على قدره ولم يجاوز به حده؛ أدّاه ذلك إلى العبادة الخالصة، والثبات على السنة، واستعمال المستحسنات، وترك المستقبحات .

فيكون هذا معنى قول النبي ﷺ في الرجل يكثر الصلاة والصيام:((إنما يجازى على قدر عقله))[(١)] .

وقال بعضهم: (**العقل مُدَبِّر يُدبِّر لصاحبه أمْر دنياه وعُقباه**) فأول تدبيره: الإشارةُ إلى المدبِّر الصانع، ثم إلى معرفة النفس، ثم يشير إلى صاحبه بالخضوع والطاعة لله والتسليم لأمره والموافقة له .

وهذا معنى قولهم: (**العاقل من عقل عن الله أمره ونهيه**) .

وقال بعضهم: (**العقل حجة الله على جميع الخلق**) لأنه سبب التكليف إلا أن صاحبه لا يستغني عن التوفيق في كل وقت، ونفس العقل بالتوفيق كان، والعاقل محتاج في كل وقت إلى توفيق جديد تفضلا من الله تعالى .

---

(١) قال ابن القيم: "أحاديث العقل كلها كذب " ومثّل لذلك بحديث (لما خلق الله العقل) السابق في ص ٦٨ ومثّل أيضاً بحديث (إن الرجل ليكون من أهل الصلاة والجهاد وما يجزى إلا على قدر عقله) انظر المنار المنيف: ٦٦ والمغني عن حمل الأسفار في الأسفار: ٨٤/١ وتنزيه الشريعة المرفوعة: ٢١٣/١ وتذكرة الموضوعات: ٢٩ . وقال الألباني: "ومما يحسن التنبيه عليه أن كل ما ورد في فضل العقل من الأحاديث لا يصح منها شيء، وهي تدور بين الضعف والوضع" . السلسلة الضعيفة للألباني: ١٣/١ .

ولو لم يكن كذلك لكان العقلاء مستغنين عن ا لله بالعقل، فيرتفع عنهم الخوف والرجاء، ويصيرون آمنين من الخذلان، وهذا تجاوز عن درجة العبودية وتعدٍّ عنها، ومحال من الأمر؛ إذ ليس من الحكمة أن ينزل ا لله تعالى أحدا غير منزلته، فإذا أغنى عبيده عن نفسه فقد أنزلهم غير منزلتهم وجاوز بهم حدودهم .

ولو كان هذا هكذا لاستوى الخلق والخالق في معنى من معاني الربوبية، وا لله تعالى ليس كمثله شيء في جميع المعاني .

وقال بعضهم: (**العقل على ثلاثة أوجه:**

عقل مولود مطبوع، وهو عقل ابن آدم الذي به فُضِّل على أهل الأرض، وهو محل التكليف والأمر والنهي، وبه يكون التدبير والتمييز .

والعقل الثاني هو عقل التأييد، الذي يكون مع الإيمان معا، وهو عقل الأنبياء والصديقين، وذلك تفضل من ا لله تعالى .

والعقل الثالث هو عقل التجارب والعبر، وذلك ما يأخذه الناس بعضهم من بعض) ومن هذا قول مَنْ قال: (**ملاقاة الناس تلقيح العقول**) .

وقال بعض أهل المعرفة: (**مقدار العقل في المعرفة كمقدار الإبرة عند ديباج أو خز**) فإنه لا يمكن لبس ديباج ولا خز إلا أن يخاط بالإبرة، فإذا خيط بالإبرة فلا حاجة بها إلى الإبرة .

كذلك تضبط المعرفة بالعقل، لا أن المعرفة تحصل من العقل أو تثبت به .

واعلم أن فصل ما بيننا وبين المبتدعة هو مسألة العقل؛ فإنهم أسسوا دينهم على المعقول، وجعلوا الاتباع والمأثور تبعا للمعقول .

وأما أهل السنة قالوا: الأصل الاتباع، والعقول تبع، ولو كان أساس الدين على المعقول لاستغنى الخلق عن الوحي وعن الأنبياء صلوات الله عليهم، ولبطل معنى الأمر والنهي، ولقال من شاء ما شاء .

ولو كان الدين بُني على المعقول وَجَبَ ألاّ يجوز للمؤمنين أن يقبلوا شيئا حتى يعقلوا .

ونحن إذا تدبَّرنا عامة ما جاء في أمر الدين من ذكر صفات الله عز وجل، وما تعبد الناس به من اعتقاده، وكذلك ما ظهر بين المسلمين وتداولوه بينهم، ونقلوه عن سلفهم إلى أن أسندوه إلى رسول الله ﷺ من ذكر عذاب القبر وسؤال الملكين والحوض والميزان والصراط وصفات الجنة وصفات النار وتخليد الفريقين فيهما؛ أمور لا ندرك حقائقها بعقولنا، وإنما ورد الأمر بقبولها والإيمان بها .

فإذا سمعنا شيئا من أمور الدين وعقلناه وفهمناه فللّه الحمد في ذلك والشكر، ومنه التوفيق . وما لم يمكنا إدراكه وفهمه و لم تبلغه عقولنا آمنا به وصدقنا، واعتقدنا أن هذا من قبل ربوبيته وقدرته، واكتفينا في ذلك بعلمه ومشيئته، وقال تعالى في مثل هذا: ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾ [الإسراء:٨٥] وقال الله تعالى: ﴿ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء﴾ [البقرة:٢٥٥] .

ثم نقول لهذا القائل الذي يقول: (بُني ديننا على العقل وأُمرنا باتباعه) أخبِرْنا إذا أتاك أمرٌ من الله تعالى يخالف عقلك؛ فبأيهما تأخذ: بالذي تعقل أو بالذي تؤمر؟

فإن قال: (بالذي أعقل) فقد أخطأ وترك سبيل الإسلام .

وإن قال: (إنما آخذ بالذي جاء من عند الله) فقد ترك قوله .

وإنما علينا أن نقبل ما عقلناه إيمانا وتصديقا، وما لم نعقله قبلناه وتسليما واستسلاما .

وهذا معنى قول القائل من أهل السنة: (**إن الإسلام قنطرة لا تعبر إلا بالتسليم**)(١) فنسأل الله التوفيق فيه، والثبات عليه، وأن يتوفّانا على ملة رسول الله ﷺ بمنّه وفضله .

□□□ □□□ □□□

(١) يقرب من ذلك قول الإمام الطحاوي: (ولا تثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام) انظر شرح العقيدة الطحاوية: ٢١٩ .

الفهارس

١- فهرس الآيات القرآنية الكريمة

٢- فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

الحديث	الصفحة
ألا لا يحجن بعد العام مشرك، ولا يطوفن بالبيت عريان	٣٨
ألا هل بلغت	٧٠
أُمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله	٦٢، ٧٧
إذا نازلتم أهل حصن أو مدينة فادعوهم إلى شهادة	٦٢
إن من العلم لجهلا	٣١
إنما يجازى على قدر عقله	٨٠
ادعهم إلى شهادة ألاّ إله إلا الله	٦١
اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع	٣١
بم تحكم	١١
تفكروا في خلق الله، ولا تفكروا في الله	٩
خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم	٣٥
سباب المسلم فسوق وقتاله كفر	٣٦
ستة لعنتهم وكلٌّ نبي مجاب الدعوة	٥٣
عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي	٥٢
كل مولود يولد على الفطرة	٣٥
لا تنازعوا الأمر أهله	٤٣
لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة	٦٤

٣- فهرس الآثار

الأثر	الصفحة
(إبراهيم النخعي) إن القوم لم يخبئ عنهم شيء خبئ لكم	١٩
(أحمد بن حنبل) أئمة الكلام زنادقة	٩
(إسحاق الحنظلي، ابن راهويه) اعلموا أن اتباع الكتاب	٢٢
(الأوزاعي) المنازعة والجدال في الدين محدث	١٦
(أيوب السختياني) ولا نصف كلمة	٢٠
(الحسن البصري) إنما يخاصم الشاك في دينه	١٥
(الحسن البصري) القصص بدعة ونعمت البدعة	٢٨
(الحكم بن عتيبة) الخصومات	٢١
(سفيان الثوري) عليكم بالأثر وإياكم والكلام في ذات الله	٩
(أبو سليمان الداراني) ما حدثتني نفسي بشيء إلا طلبت منها	٤٥
(ابن سيرين) إني لأدع المراء وإني لأعلمكم به	١٦
(ابن سيرين) لا لتقومان أو لأقومن	٢٢
(الشافعي) كل من تكلم بكلام في الدين	٧
(الشافعي) إياكم والنظر في الكلام	٨
(ابن طاوس) يابني أدخل أصبعيك في أذنيك	٢٠
(ابن عباس) لو رأيت بعضهم لضربت رأسه	١٩
(أبو العباس بن سريج) لوأن رجلا جاءنا وقال: إن الأديان	٦٣

٤- فهرس الأبيات الشعرية

٥- فهرس الأعلام

٦- ثبت المصادر والمراجع الواردة في الهامش

- الآثار الواردة عن أئمة السنة في أبواب الاعتقاد من كتاب سير أعلام النبلاء للدكتور جمال بادي ط١ دار الوطن الرياض ١٤١٦ هـ .
- الآداب الشرعية لابن مفلح مؤسسة قرطبة القاهرة .
- الإبانة الكبرى لابن بطة تحقيق د. رضا معطي ط١ دار الراية الرياض ١٤٠٩هـ .
- الابتهاج بتخريج أحاديث المنهاج للغماري علق عليه سمير المجذوب عالم الكتب ١٤٠٥هـ .
- الإبهاج للسبكي وابنه ط١ دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٤هـ .
- اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم تحقيق د. عواد المعتق ط٢ مكتبة الرشد الرياض ١٤١٥ هـ .
- الإحكام في أصول الأحكام للآمدي ط٢ تعليق الشيخ عبد الرزاق عفيفي المكتب الإسلامي بيروت ١٤٠٢ هـ .
- إحكام الفصول للباجي تحقيق د. عبد المجيد تركي ط١ دار الغرب الإسلامي بيروت ١٤٠٧ هـ .
- إحياء علوم الدين للغزالي دار المعرفة بيروت .
- الأربعين النووية للنووي المطبوع مع شرحه جامع العلوم والحكم بتحقيق الأرناؤوط وباجس .
- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل للألباني ط٢ المكتب الإسلامي بيروت ١٤٠٥ هـ .
- الاستيعاب في أسماء الأصحاب لابن عبد البر المطبوع مع الإصابة .
- الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر دار الكتاب العربي بيروت .

- أصول السنة لابن زمنين تحقيق عبد الله بخاري ط١ مكتبة الغرباء المدينة النبوية ١٤١٥ هـ .
- أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن للشنقيطي طبع وتوزيع إدارة الإفتاء بالرياض ١٤٠٣ هـ .
- الاعتصام للشاطبي دار المعرفة بيروت ١٤٠٥ هـ .
- الأعلام للزركلي ط٧ دار العلم للملايين بيروت ١٩٨٦م .
- إعلام الموقعين لابن القيم تعليق طه سعد دار الجيل بيروت ١٩٧٣م .
- اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية تحقيق د. ناصر العقل ط١ ١٤٠٤ هـ .
- الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع للسيوطي تحقيق مشهور حسن سلمان ط١ دار ابن القيم الدمام ١٤١٠ هـ .
- الأنساب لأبي سعد عبد الكريم السمعاني مصورة عن ط١ لدائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد الدكن .
- أهل السنة والجماعة "معالم الانطلاقة الكبرى" للشيخ محمد المصري ط٢ دار طيبة الرياض ١٤٠٨هـ .
- البحر المحيط للزركشي تحرير عبد القادر العاني ط٢ دار الصفوة ١٤١٣هـ .
- البداية والنهاية لابن كثير تحقيق د. أحمد أبي ملحم وجماعة ط١ دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٥ هـ .
- البدع والنهي عنها لابن وضاح القرطبي ط١ دار الصفا القاهرة ١٤١١ هـ .
- تاريخ بغداد للخطيب البغدادي دار الكتب العلمية بيروت .
- تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة دار الكتاب العربي بيروت .
- تحفة الطالب بمعرفة أحاديث مختصر ابن الحاجب لابن كثير تحقيق عبد الغني الكبيسي ط١ دار حراء مكة الكرمة ١٤٠٦ هـ .
- تذكرة الحفاظ للذهبي دار إحياء التراث العربي بيروت .
- تذكرة الموضوعات للهندي ط٢ دار إحياء التراث بيروت ١٣٩٩ هـ .

- تفسير سورتي الفاتحة والبقرة للسمعاني تحقيق د. عبد القادر منصور مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة ١٤١٥ هـ .
- تقريب التهذيب لابن حجر تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف ط٢ ١٣٩٥هـ الناشر دار المعرفة بيروت .
- تلبيس إبليس لابن الجوزي ط٢ المنيرية ١٣٦٨هـ الناشر دار الكتب العلمية بيروت .
- تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل للباقلاني تحقيق عماد الدين حيدر ط١ مؤسسة الكتب الثقافية بيروت ١٤٠٧ هـ .
- تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث لابن الديبع الشيباني ط١ دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠١ هـ .
- تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الشنيعة الموضوعة للكناني تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف وعبد الله الصديق ط٢ دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠١ هـ .
- التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل للمعلمي تحقيق الألباني ط٢ دار الإفتاء بالرياض ١٤٠٣ هـ .
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري دار الفكر بيروت ١٤٠٥ هـ .
- جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر تحقيق الزهيري ط١ دار ابن الجوزي الدمام ١٤١٤ هـ .
- جهود أبي المظفر السمعاني في تقرير عقيدة السلف للشيخ محمد بن بو بكر بنعلي (رسالة ماجستير من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة لم تطبع) .
- الحجة في بيان المحجة لقوام السنة الاصبهاني التيمي تحقيق د. محمد ربيع ومحمد أبو رحيم ط١ دار الراية الرياض ١٤١١ هـ .
- حقيقة البدعة وأحكامها للشيخ سعيد الغامدي ط١ مكتبة الرشد الرياض ١٤١٢ هـ .
- الحكمة والتعليل للدكتور محمد المدخلي ط١ مكتبة لينة دمنهور ١٤٠٩ هـ .

- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الاصبهاني دار الكتب العلمية بيروت .
- درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية تحقيق د. محمد رشاد سالم ط١ جامعة الإمام بالرياض ١٣٩٩ هـ .
- الدر المنثور للسيوطي دار المعرفة بيروت .
- ذم الكلام وأهله للهروي تحقيق عبد الرحمن الشبل ط١ مكتبة العلوم والحكم المدينة النبوية ١٤١٦ هـ .
- الرسالة للشافعي تحقيق الشيخ أحمد شاكر المكتبة العلمية بيروت .
- رسالة أبي الحسن الأشعري لأهل الثغر تحقيق عبد الله الجنيدي المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .
- الروح لابن القيم دار الكتب العربية بيروت ١٣٩٩ هـ .
- روضة الناظر وجنة المناظر لابن قدامة المطبوع مع نزهة الخاطر دار الكتب العلمية .
- زاد المعاد لابن القيم تحقيق شعيب وعبد القادر الأرناؤوط ط٣ مؤسسة الرسالة ١٤٠٢ هـ .
- السلسلة الصحيحة للألباني ط٢ مكتبة المعارف الرياض ١٤٠٧ هـ .
- السلسلة الضعيفة للألباني ط٣ المكتبة الإسلامية عمان ومكتبة المعارف الرياض ١٤٠٦ هـ .
- سنن الترمذي تحقيق الشيخ أحمد شاكر ومن معه دار إحياء التراث العربي .
- سنن الدارمي عناية محمد دهمان دار إحياء السنة النبوية دار الكتب العلمية .
- سنن أبي داود تعليق محمد محيي الدين عبد الحميد دار الكتب العلمية .
- سنن ابن ماجه تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي .
- السنة لابن أبي عاصم تخريج الألباني ط٣ المكتب الإسلامي ١٤١٣ هـ .
- السنة للالكائي = شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة تحقيق د. أحمد سعد الغامدي ط٣ دار طيبة ١٤١٥ هـ .

- سير أعلام النبلاء للذهبي مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٠٥ هـ .
- السيرة النبوية لابن هشام تحقيق مصطفى السقا وجماعة ط٢ مكتبة الحلبي مصر ١٣٧٥ هـ .
- شرح العقيدة الاصفهانية لابن تيمية قدم له الشيخ حسنين مخلوف دار الكتب الحديثة القاهرة .
- شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي تخريج الألباني ط٥ المكتب الإسلامي بيروت ١٣٩٩ هـ .
- شرح الكوكب المنير للفتوحي تحقيق د. محمد الزحيلي ونزيه حماد مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة .
- شرح النووي على صحيح مسلم ط٢ دار إحياء التراث العربي بيروت ١٣٩٢ هـ .
- شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي تحقيق د. محمد اوغلي دار إحياء السنة النبوية انقره ١٩٧١م .
- الشريعة للآجري تحقيق محمد الفقي ط١ دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٣ هـ .
- صحيح البخاري المطبوع مع فتح الباري بترقيم محمد فؤاد عبد الباقي دار المعرفة بيروت .
- صحيح الجامع الصغير وزيادته للألباني ط٢ المكتب الإسلامي ١٤٠٦ هـ .
- صحيح مسلم المطبوع مع شرح النووي ط٢ دار إحياء التراث العربي بيروت ١٣٩٢ هـ .
- صفة الغرباء للشيخ سلمان العودة ط١ دار ابن الجوزي الدمام ١٤١١ هـ .
- الصواعق المرسلة لابن القيم تحقيق د. علي الدخيل الله ط١ دار العاصمة الرياض ١٤٠٨ هـ .
- صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام للسيوطي تعليق سامي النشار دار الكتب العلمية .
- طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى دار المعرفة بيروت .

- طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة عناية د. عبد العليم خان ط١ عالم الكتب بيروت ١٤٠٧ هـ .
- طبقات الشافعية الكبرى لابن السبكي ط٢ دار المعرفة بيروت .
- ظلال الجنة في تخريج السنة للألباني المطبوع مع السنة لابن أبي عاصم .
- فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر دار المعرفة بيروت .
- الفتوحات الربانية على الأذكار النووية لابن علان الصديقي دار الفكر بيروت ١٣٩٨ هـ .
- الفرق بين الفرق للبغدادي تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد دار المعرفة بيروت .
- الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي ط٢ دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٠ هـ .
- القاموس المحيط للفيروز أبادي المؤسسة العربية بيروت .
- القصيدة النونية لابن القيم مع شرح ابن عيسى ط٣ المكتب الإسلامي ١٤٠٦ هـ .
- قواطع الأدلة للسمعاني مخطوطة مصورة من مكتبة المخطوطات بالجامعة الإسلامية برقم ٢١٧٧ ميكروفيلم .
- قواطع الأدلة للسمعاني تحقيق د. عبد الله الحكمي (رسالة دكتوراه من جامعة الإمام بالرياض لم تطبع) .
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة دار الفكر ١٤٠٢ هـ .
- الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي تحقيق أحمد هاشم ط٢ دار الكتاب العربي بيروت ١٤٠٦ هـ .
- اللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير مكتبة القدسي القاهرة ١٣٥٧ هـ .
- لسان العرب لابن منظور دار صادر بيروت .
- لوائح الأنوار السنية للسفاريني تحقيق د. عبد الله البصيري ط١ مكتبة الرشد الرياض ١٤١٥ هـ .
- لوامع الأنوار البهية ط٢ المكتب الإسلامي ١٤٠٥ هـ .

- مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة الأعداد (٦٢، ٦٣-٦٤) ١٤٠٤ هـ .
- مجلة معهد المخطوطات العربية الكويت المجلد الأول: الجزء الأول ربيع الأول – شعبان ١٤٠٢ هـ .
- المجموع شرح المهذب للنووي دار الفكر .
- مجموع الفتاوى لابن تيمية جمع وترتيب الشيخ عبد الرحمن بن قاسم وابنه مكتبة النهضةمكة المكرمة ١٤٠٤ هـ .
- المحدث الفاصل للرامهرمزي تحقيق د. محمد الخطيب ط٣ دار الفكر بيروت ١٤٠٤ هـ .
- مختار الصحاح للرازي تحقيق حمزة فتح الله دار البصائر بيروت ١٤٠٥ هـ .
- مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم اختصره الشيخ محمد الموصلي ط١ دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٥ هـ .
- مذكرة الشنقيطي في أصول الفقه المكتبة السلفية بالمدينة المنورة .
- المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة للدكتور عبد الإله الأحمدي ط١ دار طيبة الرياض ١٤١٢ هـ .
- المستصفى للغزالي مكتبة الجندي مصر .
- المسند للإمام أحمد دار صادر بيروت .
- مسند الطيالسي = منحة المعبود في ترتيب مسند الطيالسي أبي داود للساعاتي ط٢ المكتبة الإسلامية بيروت ١٤٠٠ هـ .
- المصباح المنير للفيومي المكتبة العلمية بيروت .
- المعتبر في تخريج أحاديث المنهاج والمختصر للزركشي تحقيق د. حمدي السلفي ط١ دار الأرقم الكويت ١٤٠٤ هـ .
- المعتمد في أصول الفقه لأبي الحسين البصري ط١ دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٣ هـ .
- معالم السنن للخطابي ط٢ دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠١ هـ .

- المغني لابن قدامة تحقيق د.عبد الله التركي وعبد الفتاح الحلو ط١ هجر بمصر ١٤٠٨ هـ .
- المغني عن حمل الأسفار في الأسفار للعراقي المطبوع مع الإحياء .
- مفتاح دار السعادة لابن القيم مكتبة صبيح مصر .
- مفهوم أهل السنة والجماعة للدكتور ناصر العقل دار الوطن الرياض .
- المنار المنيف لابن القيم تحقيق عبد الفتاح أبي غدة ط١ المطبوعات الإسلامية حلب ١٣٩٠ هـ .
- مناقب الشافعي للفخر الرازي تحقيق د. أحمد حجازي السقا ط١ مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة ١٤٠٦ هـ .
- منزلة السنة في الإسلام وبيان أنه لا يستغنى عنها بالقرآن للألباني ط٤ الدار السلفية الكويت ١٤٠٤ هـ .
- المنية والأمل للقاضي عبد الجبار جمعه أحمد المرتضى تحقيق د. عصام الدين محمد علي دار المعرفة الجامعية الاسكندرية ١٩٨٥ م .
- المواقف في علم الكلام للإيجي عالم الكتب بيروت ١٤٠٥ هـ .
- الموطأ للإمام مالك ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي المكتبة الثقافية بيروت ١٤٠٨هـ .
- موقف ابن تيمية من الأشاعرة للدكتور عبد الرحمن المحمود ط١ مكتبة الرشد الرياض ١٤١٥ هـ .
- موقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع للدكتور إبراهيم الرحيلي ط١ مكتبة الغرباء المدينة النبوية ١٤١٥ هـ .
- النبوات لابن تيمية دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٥ هـ .
- النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير الجزري تحقيق محمود الطناحي وطاهر الزواوي أنصار السنة المحمدية باكستان .
- الوفا بأحوال المصطفى لابن الجوزي تحقيق مصطفى عطا ط١دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٨ هـ .
- وفيات الأعيان لابن خلكان تحقيق د. إحسان عباس دار صادر بيروت .

٧- فهرس الموضوعات

☐ النص المحقق*:

(*) هـ = هامش الكتاب.

☐ الفهارس: